رسائل أنسي الحاج إلى غادة السمان



دار الطليعة - بيروت

رسائل أنسي الحاج

إلى

غادة السمان



رسائل أنسي الحاج

إلى

غادة السمان

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت



ص. ب ١١١٨١٣
الرمز البريدي ٩٠ ٧٢٠ ١١٠
بيروت ـ لبنان
تلفون ٣١٤٦٥٩/٠١
فاكس ٣٠٩٤٧٠ ـ ١ ـ ٩٦١
E.mail: daraltalia55@yahoo.com

الطبعة الأولى: كانون الثاني (يناير) ٢٠١٧

□ رسم **غادة السمّان** على الغلاف الأخير: للفنان **رافع الناصري**، كروكي (خطاطة) في مقهى.

□ **الخطوط**: للفنان حسين ماجد.



محاولة إهداء

أهدي هذه الرسائل

إلى الذين يعتقدون مثلي

أن للشاعر ألف مُلهمة ومُلهمة

وحبيبة واحدة اسمها الأبجدية . . .

والحبُ الذي لا يخونه الشاعر طوال العمر ،

اسمه : الشعر . .

غادة



لحظة "نوستالجيا" وحنين

لم أكتب لأنسي الحاج أي رسالة، فقد كنا نلتقي كل يوم تقريباً في مقهى "الهورس شو" ـ الحمرا، أو "الدولشي ڤيتا" و"الديبلومات" ـ الروشة، أو الأنكل سام" مقابل مدخل الجامعة الأميركية الرئيسي.. وهذه المقاهي اًنقرضت اليوم!

لم أكتب لأنسي، لكنني عجزت عن تمزيق هذه الرسائل الرائعة أدبياً... وأياً كان الثمن.

غادة



المسألة بحاجة إلى وضوح، كثير من الوضوح. إنها أشبه بالطعم الذي تتركه في حلقي، بالجريمة. وأنا ممزَّق بين أن أكون فريسة الشعور بالذنب، وبين أن أُعلن في صراخ متواصل لا مسؤولّيتي، وأتشبّث كالطفل الوحيد بفكرة اللاّذنب اَلمطْلَق.

المسألة بحاجة إلى وضوح وأنا إلى فَهْم: أن يُفهمني أحدٌ وأن أفهم نفسي. لم أشعر كهذه المرّة بالرعب أمام حالي. إنها المرّة الأولى التي يجرفني فيها الشعور، إلى هذا الحدّ الرهيب، بأنني على وشك الجنون. فلقد كنتُ دائماً مع نفسي حتّى في أحلك ظلماتها. كنتُ دائماً وحيداً ومع هذا كنتُ حاضراً بوضوح بل وبلذّة في هذه الوحدة. كنتُ أحيطها وتحيطني وأعلم أنّ فيّ شيئاً جيداً هو حصانتي وهو قيمتي وهو خلاصي في النهاية. والآن، يبدو لي أنني أَضَعْتُ كلّ شيء. أَضَعْتَ حتّى أسراري. وأنا أيضاً ضعتُ في نفسي. هل تدركين معنى هذا؟ لقد تمرّد فيّ، عليّ، تمرّدي القديم على العالم، التمرّد الذي كنتُ بواسطته أردّ الفعل وأندلع من قلب وحدتي كالنار. صرتُ موضوعاً لتمرّد الآخرين دون أن أقوى على الدفاع، على استرداد حقوقي. كنتُ أعرف أن أكذب أو أن أُخلص بحرارة. كنتُ أعرف أن أكون. كنتُ أعرف أن أكون لا مع الآخرين فحسب بل مع نفسي فيهم ومعهم. كنتُ حليفاً لنفسي. كنتُ

شريكاً لها. لم تكن مجرّد مرآة تعكس لي هيأتي بَصْمت وحياد وبرود، بل كانت تنتظرني لتهنئني أو تعلّمني أو تمدّني بالعزاء والموارد. هل استنفدتها؟ ماذا انتهى فيّ؟ لماذا صرتُ خالياً؟ ما الذي مات هنا، هنا، في هذا الثقل؟ لم أعد أعرف. للمرّة الأولى أفكّر وأعلن وأقول: لم أعد أَعرف. كنتُ دائماً أعرف. ماذا حدث؟ هل خرجتُ من شرنقةٍ مقدّسة إلى الواقع؟ هل هذه هي الوحدة الحقيقيّة وكلّ ما عرفتُه قبلاً لم يكن وحدة حقيقية؟ أهذه هي الغربة؟ أكلّ هذا الوقت لم أكن غريباً؟ لا. مستحيل. هناك شيءٌ آخر. لا بدّ، لا بدّ أن يكون شيء آخر. إنّ الأمر أشبه بالجريمة. إنني أعرف الآن ما هو أفظع من الوحدة وأشنع من الغربة. هذه هي علامة المجهول. لقد دخلتُ في دور العجز عن المعرفة، دور العجز عن التعبير. العجز الكامل. الأصيل. الحقيقي. العجز الذي أعلنتُ عنه قبل ثلاث سنوات ها هو يتمّ. لم أعد أقوى حتّى على الدفاع عن نفسي. حتّى على المطالبة والاحتجاج والرفض والتمرّد. حتى على الشعور بالمرارة والخيبة. إنّه الفراغ الذي لا شكل له؛ فراغٌ تتخّلله أحياناً ألفاظ وضحكاتٌ لكنها آنية. إنه العَدَم. لم يَرَه أحد كما أراه. كما **يراني**. لقد فقدتُ عينيّ فيه. الأمر أشبه بالجريمة؟ بل هو جريمة. جريمة فقط. لا دفاع ولا اتهام. يجب أن أشكر هذا القَلَم الذي ما يزال يُسعف نفسه على إيجاد الكلمات التقريبيّة.

لا دفاع ولا اتهام. أقف في الوَسَط:

ـ رئيس المحكمة: أيها المُتّهم، ماذا تقول؟



ـ المتهم: . . . (يسبقه الوقت. الوقت يمرّ بسرعة وهو لا يستطيع أن يتكلم).

ـ رئيس المحكمة: ماذا تطلب؟

ـ المتهم: . . . (يحرك شفتيه ليقول شيئاً. لا أحد ينتبه. يمرّ الوقت. تبدأ الجوّقة في العزف. ينهار السقف وترتفع أصوات تحت الأرض. هيّا. مثل بعض. لا أمل في شيء ولا قيمة لشيء).

ـ رئيس المحكمة: رُفعت الجلسة للمذاكرة.

نعم. القرار لا يهمّ. ما الفرق بين التجريم والتبرئة؟ المُتهم لا يصل إليه قرار الآخرين. إنّه غير موجود في نفسه. هو يعرف، من بعيد جداً، أنه إذا دافع عن نفسه بحرارة، كما كان يفعل في الماضي، يستطيع أن ينتزع على الأقلّ حقاً من حقوقه. إن في أعماقه شعوراً هزيلاً بأنه يستطيع. لكنّه لا يستطيع. إنه لا يتردّد، وإنما هو يعجز. إنه نوعٌ من التَعَب النهائيّ. لا أحد يفهم التَعَب النهائيّ. إنهم يقولون عن صاحبه: ليس له رغبة في الكلام. أو: ليس عنده حجة. أو: إنه أبله. أو: لو كان بريئاً حقّاً لانفجر. أو: لقد صَعَقَتْه جريمته.

هل أن جريمتي صَعَقَتْني؟ هل أنا بريء؟ هل أنا مجرم؟ هل أنا متّهم؟ ماذا فعلت؟ ماذا فعلت؟ لماذا لا أريد أن أتكلّم؟ لماذا لا أستطيع أن أمشي هذه الخطوة؟ إنّ رأسي ألف قطعة. أيّة ضحيّة أنا؟ أية ضحية ضحيّتي؟ من هم أولئك الذين لا يعرفونني؟ لماذا أتحدث إليكِ أنتِ، أنتِ، دون سواكِ؟ مَنْ

أنتِ؟ لماذا أَنتقدكِ؟ لماذا أغضب عليكِ؟ هل هذا هو الجنون؟ لا أريد أن أحبّ. لا أريد أن أحبّ **هكذا**. لا أريد أن أَفقد الشعور بما يصيبني، لا أريد أن أفقد القدرة على تعيين مشاعري ونوعيّة مشاكلي وعواطفي ومواقفي. لا أريد أن أتبدد في فوضى الدماغ. أريد أن أقيم النظام في قلب هذه الفوضى. أريد أن أقبض على مركز الأشياء ولا أريد أن أبقى مبعثراً فيها. لا أريد أن يسقط عقلي وتصبح أحلامي بغيضة ومخيلتي لعنةً عليّ. أريد أن أفقد الأرض والسماء **وحدي**. لا أريد أن أقترف الجريمة **وحدي**، لا أستطيع **وحدي** أن أحمل يديّ.

غادة،

الوضوح الذي أنا بحاجة إليه لم أقدّمه. كنتُ أعرف أنني سأفشل في تقديمه. لكنني أردتُ أن أجرّب. أردت، لأنني أطمع بمشاركتك. أطمع بها إلى حدّ بعيد جدّاً. لكن رغم هذا أعتقد أنني سأقول لك شيئاً واضحاً. وقبل كل شيء، هذا: إنّني بحاجة إليك. (إذا ضحكتِ الآن بينكِ وبين نفسكِ سخريةً من هذه العبارة، فسيكون معناه أنك لا تحترمين مأساتي. ولن أغتفر لك ذلك أبداً). تتذكرين دون ريب أنّك ضحكتِ مرّة، بمرارة، وانتقامٍ دفين، وشكٍّ وسخرية، حيث قلتُ لكِ إنني بحاجةٍ إليك. وربما فكرتِ: كيف يعرف أنّه بحاجة إليّ، أنا بالذات، شخصٌ لا يعرف عنّي شيئاً، ولا أعرف عنه شيئاً، ولا يعرف إذا كنتُ، أنا، (أي أنتِ) بحاجةٍ إلى أن يكون أحدٌ بحاجة إليّ. . . وربما فكّرتِ (وأنا لو كنتُ مكانكِ لجاءتني الأفكار نفسها)

أيضاً، إنني، في تسرّعي للقبض على الفرصة السانحة (السانحة في الظاهر) نسيتُ حتّى أن أكون لبقاً، أو أن أذهب بمراوغتي مذهباً ذكياً على الأقل، فلا أصوغ "حاجتي" بتلك العبارات المسلوقة، المبتذلة، المبريّة حتى الاهتراء على بلاط النفاق البشري والتعاملات العابرة والزَيَف والخبث والتدجيل. وربّما، أخيراً، (ولو كنتَ مكانكِ لفعلت) وربّما فكّرتِ: ألى هذه الدرجة يظنّني وطيئة المستوى، فلا يكّلف نفسه، معي، مشّقة الارتفاع بالنفاق إلى حدّ أكثر جاذبيّة، على الأقلّ؟

ولا أستبعد أن تكون هذه الأفكار، وغيرها أمرّ، قد راودتك في مناسبات أخرى. فقد كانت معظم مواقفي الظاهريّة معك مواقف ناقصة تحمل كثيراً على الشكّ وأحياناً على الاستخفاف والألم والرغبة في تأكيد الذات بنوعٍ من القسوة حتّى لا أقول الظلم. لكن يا عزيزتي (يا لهذه اللفظة السخيفة!) دعيني أوضح مرّة أخرى، وأرجو أن لا تضجري.

قبل أن اتّصل بك للمرّة الأولى كنت أعلم، لكن ربّما أقلّ من الآن، أنني بحاجة إلى إنسان. بحاجة إلى إنسان يتناسب، في ذكائه وإحساسه وطاقاته جميعاً، الإيجابية منها والسلبية، مع ما أنا فيه، وما سأصير فيه. وفكّرت طويلاً. ورفضتُ، شيئاً بعد شيء، كل الحلول التي مرّت بفكري. ورفضت كل الأشخاص، ممّن أعرفهم وممّن لا أعرفهم، الذين استعرضتهم. وعندما اتصلت بك للمرة الأولى كنتِ ما تزالين مجرّد إمكانيّة غامضة، لكن قوّية. وظلّت هذه الإمكانية غامضة عندما قابلتك للمرّة

الأولى. وظلّت غامضة أيضاً عندما قابلتك في المرة الثانية، لكنها ازدادت قوّة. وفي ما بعد، أصبحتِ أنت التجسيد للإنسان الذي أنا بحاجةٍ مصيريّة ملّحة وعميقة وعظيمة ورهيبة إليه. أصبحتِ أنتِ هذا الإنسان لا لأنني أنا صنعتُه منكِ، فحسب، بل لأنّك كنتِ أهلاً لذلك. كنتِ أهلاً لذلك رغم أنّك ما تزالين، بالنسبة لي، منغلقة على نفسك ترفضين الخروج إليّ بالعري الذي أشتهيه وأريد أن أتحمل وزره.

هل حدث هذا التجسيد بسرعة؟ أتتّهمينه بأنه مسلوق سلقاً؟ بأنه من تصوير خيال مريض؟ بأنه إسقاط نفسيّ؟ بأنه انتهازيّ ووصولي؟ لا يا **غادة**. السرعة التي تتصورينها ليست في الحقيقة، سرعة. ربّما كانت كذلك بالنسبة لمتفرّج من الخارج لا يعرف شيئاً عن الدوافع البعيدة والمخفيّة واللامباشرة. أؤكّد لكِ أن العمليّة تمّت، على العكس، ببطء. نعم ببطء. وأعتقد أنني بذلت حتى الآن جهوداً جبّارة لكي أستطيع الصمود أمام عدم تصديقك وأمام تريّثك وأمام انغلاقك وأمام رفضك وصمتك وابتساماتك التي تظنين أنّني لا أدرك مغزاها العميق. بذلتُ جهوداً عنيفة لكي لا أنهار ولكي أحتفظ أمامك بشيء من الاستمرار والقناعة. ولو نفذتِ إلى أعماقي لهالك المنظر: منظر القتل والتقتيل والموت.

بحاجةٍ، إذن، إليكِ.

لا، لستِ مجرّد خشبة إنقاذ بالنسبة لي. عندما أقول أنا بحاجةٍ عظيمة إليكِ فمعناه أنّني، كذلك، بحاجةٍ إلى من يكون

بحاجة، عظيمة، وربّما أعظم بكثير من حاجتي، إليّ. . . إنّ لجوئي إليكِ لس لجوء إنسان إلى شيء، بل لجوء إنسان إلى إنسانٍ آخر. إنه رغبةٌ في الارتباط. وإذا كنتُ أريد أن أتخطّى وضعي فيكِ فإنّني أريد، كذلك، أن تتخطّي وضعكِ فيّ. ليس مثلي من يدرك معنى الكلمات **يا غادة**: معناها العميق، الحقيقي، الثقيل، المُلْزِم، والمحرِّر أيضاً. ليس مثلي من يدرك معنى صَرْخة: أحبّك.

لقد ذكرتُ لكِ، فوق، كلمة جريمة. لماذا؟ لا أعرف. أريدك أن تساعديني على تحديد هذا الشعور، وعلى معرفة أمور كثيرة غيره. أريدك أن تكوني معي. أن تكوني لي. أريد، أكثر من ذلك، أن أكون لكِ.

سأتوقف الآن عن الحكي. الساعة الرابعة والربع صباحاً. لا أعرف إذ كان الخطّ سيكون سيّئاً اليوم أيضاً وأُخطئك. الويل لي إذا لم أستطع أن أراك اليوم. هل تنامين؟ هل تحلمين بشيء جميل؟ الويل لي إذا لم أرك. ماذا سأفعل الآن؟ أنام؟ مستحيل. بلى. يجب. قليلٌ من الشجاعة أيها الجبان.

٢/ ١٢/ ١٩٦٣




مكتبة
الفكر الجديد

المسألة بحاجة إلى وضوح، كثير من الوضوح. إنها أشبه
باللقم الذي نتركه في حلقي - بالجريمة. وأنا ممزق بين أن أكون
فريسة الشعور بالذنب، وبين أن أظل في صراع متواصل
لا مسؤوليتي - وأتشبث كالطفل الوحيد بكرة الأرنب المطاطية
المسألة بحاجة إلى وضوح وأنا إلى فهم: أن يفهمني
أحد وأن أفهم نفسي. لم أشعر كهذه المرة بالرعب أمام
حالي. إنها المرة الأولى التي يمزقني فيها الشعور، إلى هذا الحد
الرهيب، أنني على وشك الجنون. فلقد كنت دائما مع نفسي،
حتى في أحلك ظلماتي. كنت دائما وحيداً ومع هذا كنت قادراً
بوضوح على رباطة في هذه الوحدة. كنت أحيط ذاتي
وأعلم أنه في شخصيتي جيداً ثم حطامي وتمزقي وهدم خلاصي
في التركيبة. والآن، يبدو لي أنني أضعت كل شيء، أضعت
حتى أسراري. وأنا أرتجف ضعفاً في نفسي. هل تدركين
معنى هذا؟ لقد تمرد في، علي، تمردي القديم على العالم



الشر الذي كنت بسلطته أرى الفعل وأندفع من قلب
وحدتي كالنار. صرت معضوداً لشهود الآخرين دون أن أقوى
على الدفاع، على استرداد حقوقي. كنت أعرف أن أكذب
أو أن أخلص بمرارة. كنت أعرف أن أكره. كنت أعرف
أن أكره لا مع الآخرين فحسب بل مع نفسي. فيهم ومعهم
كنت حليفاً لنفسي. كنت شريكاً لهم. لم تكن مجرد مرآة
تعكس لي حياتي بحث وحياد وبرود، بل كانت تنظر لي
لتريني أو تعلمني أو تهددني بالعزلة والطرد. هل استفهمتها؟
ماذا رأيت فيَّ؟ لماذا صرت ظالماً؟ ما الذي حدث هنا، هنا
في هذا التفاعل؟ لم أعد أعرف. للمرة الأولى أفكر وأتأمل
وأتأمل: لم أعد أعرف. كنت دائماً أعرف. ماذا حدث؟
هل خرجت من شرنقة تقدسه إلى الواقع؟ هل هذه
هي الوحدة الحقيقية وكل ما عرفته قبلاً لم يكن وحدة
حقيقية؟ أهذه هي العزلة؟ ألهذا الوقت لم أكن
شريكاً؟ لا. مستحيل. هناك شيء آخر. لا بد لا بد أن



يبدو شيئاً آخر. إن الأمر أشبه بالجريمة. إنني أعرف
الآن ما هو أفظع من الوحدة وأشنع من الغربة. هذه هي
ملامح المجهول. لقد دخلت في دور العجز عن المعرفة، دور
العجز عن التعبير. العجز الكامل. الأصيل. الحقيقي. العجز
الذي أعلنت عنه قبل ثلاث سنوات ها هو يتم. لم أعد
أقدر حتى على الدفاع عن نفسي. حتى على المطالبة بالوجود
والرفض والتمرد. حتى على التشبث بالذكرى والخيبة. إنه
النزيف الذي لا شكل له؟ فرغم تشكّل أحياناً ألفاظ
وكلمات لكنها آنية. إنه العدم. لم يره أحد كما أراه
كما يراني. لقد فقدت نفسي فيه. الأمر أشبه
بالجريمة؟ بل هو جريمة. جريمة فقط. لا دفاع ولا اتهام.
حتى أنه أشكر هذا القلم الذي ما يزال يسعف نفسه
على إيجاد الكلمات التقريبية. لا دفاع ولا اتهام. أنت
في الوسط:

- رئيس المحكمة: أيها المتهم - ماذا تقول؟
- المتهم: ... (يسبقه الوقت. الوقت يمر بسرعة جداً) !!



حين تصحو أين تكون؟ (بالسرير)

رئيس المحكمة : ماذا تفعل !

الكاتب : ... (يتذكر) شخصية تبدو شبحًا، لا أحد يشبهه. يمر العقل. تبدأ الحوادث في الغرفة. يتكرر السقف وتتزاحم أصوات تحت الأرض. حيًا. قتل بعضًا. لا أمل في شيء ولا أحد يكشف الشباب)

رئيس المحكمة : رفعت الجلسة للمذاكرة.

نعم، القرار لا يهم. ما الفرق بين التجريم والتبرئة؟ المتهم لا يحتاج إليه غير الآخرين. إنه غير موجود في نفسه، هو يعرف – من بعيد جدًا – أنه إذا دافع عن نفسه بمرارة، كما كان يفعل في الماضي – يستطيع أن ينتصر على الأقل جزءًا من حقوقه. بل في أعماقه شعورًا جزئيًا أنه يستطيع، لكنه لا يستطيع. إنه لا يريد، وربما هو يعجز. إنه نوع من التعب الشامل، لا أحد يفهم التعب الشامل. إنهم يتعاملون مع صاحبه، ليس



طه، رغبة في الكلام. أو: ليس عنده شيء، أو: إنه أبله.

أو: لم يكن بريئًا حقًا لانفجر، أو: لقد صعقته جريمته.

هل أن جريمتي صعقتني؟ هل أنا بريء؟ هل أنا

مجرم؟ هل أنا متهم؟ ماذا فعلت؟ ماذا فعلت؟ لماذا لا أريد

أن أتكلم؟ لماذا لا أستطيع أن أمشي هذه الخطوات؟ إني

أمشي ألف خطوة. أنا ضحية أنا، إنها ضحية ضحيتي! من

هم أولئك الذين لا يعرفونني؟ لماذا أتحدث إليك أنت،

أنت، دون سواك؟ من أنت؟ لماذا أنتقدك؟ لماذا أعاتب

نفسك؟ هل هذا هو الجنون؟ لا أريد أن أجن. لا أريد أن

أجن هكذا. لا أريد أن أفقد الشعور بما يحيط بي، لا أريد

أن أفقد القدرة على تعيين مشاعري وتحديد مشاكلي ودوافعي

ومعاركي. لا أريد أن أتبدد في فوضى الدوافع. أريد أن

أقيم النظام في قلب هذه الفوضى. أريد أن أقبض على

مركز الأشياء ولا أريد أن أبقى مبعثرًا فيها. لا أريد أن

يسقط عقلي فتصبح أحلامي بخيالك وخيالي لعنة علي.



ـ أريد أن أفقد الأرض والسماء وحدي. لا أريد أن أقترف
الجريمة وحدي، لا أستطيع وحدي أن أحمل يدي.

غادة

الوضوح الذي أنا بحاجة إليه لم أقله. كنت أعرف
أنني سأحتمل هم تفسيره. لكنني أحببت أن أجرب. أحببت؟
لأنني أطمع بمشاركتك. أطمع بل إلى حد بعيد جداً. لكن
رغم هذا أعتقد أنني سأقول لك شيئاً واضحاً. وقبل كل شيء، هذا:
إنني بحاجة إليك. (إذا ضحكت الآن بينك وبين نفسك سخرية من
هذه العبارة، فسيكون معناه أنك لا تحترمين مأساتي. ولن أغفر
لك ذلك أبداً) تتذكرين بدون ريب أنك ضحكت مرة، بمرارة
وانتقام، رفضاً، وشكاً، وسخرية، حين قلت لك إنني بحاجة إليك.
وربما فكرت: كيف يعرف أنه بحاجة إليّ، أنا بالذات، شخصياً؟
لا يعرفني شخصياً، ولم أعرف عنه شخصياً، ولا يعرف إذا
كنت، أنا، (أي أنت) بحاجة إلى أن يكون أحد بحاجة إليّ...
وربما فكرت (وأنا لو كنت مكانك لجاءتني الأفكار نفسها) أيضاً،



قبلياً، في تفسيري للقبلة على الفرحة السابقة (السابقة في الظاهر)
نسيت حتى أن أكون لبقاً، أو أن أدع بروحي منها ذليلاً
على الأقل، فلا أصيح بحاجتي، بتلك العبارات المسلوقة، المبتذلة،
المكررة، حتى الاعتداء على بلاط النطاق البشري والتفاهات
العابرة، والتزييف والكذب والتدجيل، وربما، أخيراً، (ولو كنت
متأكداً لفعلت) وربما فكرت: إلى هذه الدرجة يظنني وطيئة
المستوى، فلا يكلف نفسه، معي، مشقة الارتفاع بالنقاش
إلى حد أكثر جاذبية، على الأقل؟

ولا أستبعد أن تكون هذه الأفكار، وغيرها أمر، قد
راودتك في مناسبات أخرى. فقد كانت معظم مواقفي الظاهرية معك مواقف
تافهة تنطوي كثيراً على الشك، وأحياناً على الاستخفاف والألم والرغبة
في تأكيد الذات بتحدي مثل الشعور حتى لا أقول الظلم. لكن
لم تغفريها (لا لتلك اللفظة السخيفة) دعيني أوضح مرة أخرى،
وأعيد أن لا تغفري.

قبل أن أتصل بك للمرة الأولى كنت أعلم أنك



ربما أقل من الآن. أنني بحاجة إلى انسان. بحاجة إلى انسان

مناسب، في ذاته وإحساسه وطاقاته جميعاً، الإيجابية منها

والسلبية، [illegible] مع ما أنا فيه، وما سأصير فيه. وفكرت طويلاً.

ورفضت، شهوراً بعد شهور، كل الحلول التي مرت بفكري. ورفضت

كل الأشخاص، من أعرفهم ومن لا أعرفهم، الذين استعرضتهم.

وعندما اتضحت لي للمرة الأولى كنت ما تزالين مجرد امكانية غامضة،

لكن مفرحة. وظلت هذه الإمكانية غامضة عندما قابلتك للمرة الأولى

وظلت غامضة أيضاً عندما قابلتك في المرة الثانية، لكنها ازدادت قوة.

وفيما بعد، أصبحتِ أنتِ التجسيد للانسان الذي أنا بحاجة،

ماسّة ملحة وعميقة وطليقة ومحببة إليه. أصبحتِ أنتِ

هذا الانسان لا لأنني أنا صنعتك كذلك، فحسب، بل لأنكِ

كنتِ أهلاً لذلك. كنتِ أهلاً لذلك رغم أنك ما تزالين بالنسبة

لي، منغلقة على نفسك تخفين الكثير إلى الحد الذي أشعر به

وأريد أن أكمل دوره.

هل حدث هذا التجسيد بسرعة؟ أتشعرين بأنه



مسلوق سلفاً ؟ إنه من تطوير خيال مريض ؟ إنه إسقاط

نفسي ؟! إنه انشيزوفرينيا وهلوسة ؟ لا يا غادة . السرية التي

تستطيعين ليست - في الحقيقة - سرية . ربما كانت كذلك بالنسبة

للمتفرج من الخارج لا يعرف شيئاً من الدوافع البعيدة والخفية

والدافعة لتحركه . أؤكد لك أن العلاقة تمت ، على العكس ، ببطء . نعم

ببطء . وأعتقد أنني بذلت منذ الآن جهوداً جبارة لكي أستطيع

الصمود أمام عدم تصديقك وأمام ترددك وأمام انغلاقك

وأمام رفضك وصمتك وابتساماتك التي تُشعرني أنني لا أدرك

مغزاها العميق . بذلت جهوداً عنيفة لكي لا أنكسر ولكي

أحتفظ أمامك بشيء من الاتزان والقناعة . ولو نفذت إلى

أعماقي لرأيت المنظر : منظر القتل والتقتيل والموت .

بحاجة . نعم . إليك .

لا . لست مجرد خشبة إنقاذ بالنسبة لي . عندما أقرأ

أنا بحاجة لطبيب الآن مصغاة أنني - كمريض - بحاجة إلى من يكون

بحاجة لطبيبة - وربما أنتظر بكثير من حاجتي إلى ... إلا كونك



بيننا ليس مجرد انشداد إلى شيء، بل مجرد انشداد إلى إنسان آخر، إنه رغبة في الارتباط. وإذا كنت أريد أن أتملك وجهي فيك بمعانيه أريد، كذلك، أن تتملكي وجهك فيّ. ليس قبلي من يدرك معنى الكلمات يا غادة: معناها العميق، الحقيقي، الثقيل، الملتزم، والمخيف أيضاً. ليس قبلي من يدرك معنى صرخة: أحبك.

لقد أردت لك، فوق، كل هذه حريتك. الآن؟ لست أعرف. أريدك أن تساعديني على تحديد هذا الشعور، وعلى معرفة أشياء كثيرة غيره. أريدك أن تكوني معي، أن تكوني لي. أريد، أكثر من ذلك، أن أكون لك.

سأتوقف الآن عن الكتابة. الساعة الرابعة والربع صباحاً.

لا أعرف إذا كان الحظ سيكون سيئاً اليوم أيضاً وأفتقدك. الويل لي إذا لم أستطع أن أراك اليوم. هل تفهمين؟ هل تكونين شيئاً جميلاً؟ الويل لي إذا لم أرك. ماذا سأفعل الآن؟ أنام؟ مستحيل. بلى، يجب. قليل من الشجاعة أيها الجبان.

١٩٦٣/١٢/٢



هل ممّا ينتقص من كرامة الإنسان أن يكون بحاجةٍ إلى إنسانٍ آخر؟ ربما لا وربما نعم. لكن المشكلة ليست في الجواب لا أو نعم. فسواءٌ كان الجواب لا أو نعم يبقى المحتاج محتاجاً. هذه هي المشكلة. لكن لا بأس.

كيف الحال؟ لستُ مشتاقاً إليكِ فحسب بل... بل ماذا؟ لا أعلم تماماً. الثابت أن هناك شيئاً آخر أَمْيَل إلى العشق. والأدهى من ذلك كلّه هو أنني أحبّ أن أحبّك. غير أن الفكرة التي أتتك الآن ليست صحيحة.

خطأ يا آنستي العزيزة. لا أحبّ أن أُحبّكِ لأنني أحبّ فكرة الحبّ الخ... لا. لقد تخطّيت هذه المرحلة. أُحبّ أن أحبّك لأنك تمثلين في نظري خشبة الخلاص الوحيدة الممكنة أو اللاممكنة. لماذا أنتِ بالذات؟ فلأشرح لكِ أيتها المجنونة الجميلة.

أولاً لأتحدّث عنكِ..

أنتِ تظنين أنني هبطتّ عليكِ فجأةً وفجأةً قلت لك: أحبّك. وأنت تظنين أنني مارق وإنني، في الحقيقة، مستعدّ أن أهبط فجأةً على أي امرأةٍ أخرى وأقول لها، فجأة، أحبّك. لقد قالت لي ذات مساء امرأةٌ أحببتُها حتّى الموت: أنتَ تخيفني لأنك من النوع الذي يستطيع أن ينام مع ثلاث نساء مختلفات

في اليوم الواحد! وقالت لي مرة أيضاً: أعرف أنك ستملّني يوماً من الأيام كما مللت سواي قبلي! وقالت لي، هذه المرأة التي أحببتها حتى الموت، أشياء قاتلة كثيرة كهذه، رغم أني كنتُ، في الحقيقة، لها وحدها وكنتُ مصمّماً أن لا أكون إلاّ لها وحدها حتّى النهاية.

هل تعرفين لماذا انتهى ما كان بيننا؟ لأنها كانت تحبّني حتى العبادة ولم أكن أصدّقها، ولأنني كنت أعبدها حتى الجنون ولم تكن تصدّقني. لهذا. نعم. لأننا أحببنا أن نلعب لعبة الذكاء ونتبارى في من يكون سبّاقاً إلى عدم الانخداع. كنتُ أنا أعرف، ضمناً، أنها لا تخادع، لكني كنتُ أماطل نفسي وأؤجّل ساعة اليقين ظناً مني أن الاستمرار بالشكّ دليل حذر ودليل رجولة ودليل ذكاء. حتّى كانت الكارثة.

أقول كارثة، كارثة، لم يكن هناك أيّ داعٍ لانهيار حبّنا. لقد حطّمناه بسخف ذكائنا الأبله.

هذه قصّة صغيرة ملّخصة رويت لك كلمة منها. لأنّك أنتِ أيضاً لا تصدّقين. لأنك أنتِ أيضاً ربّما تتصورين أنني من النوع الذي يخلع نساءه كما يخلع قمصانه. والواقع أنني النقيض الكامل لهذا النوع.

إن كل حلمي ينحصر بأن أحبّ امرأة واحدة حبّاً واحداً وحيداً وأخلص لها إلى النهاية وأستنفد نفسي وأجدّد نفسي وأستنفد نفسي وأجدّد نفسي معها إلى النهاية. حتى الآن إما أفشل في الوقوع على امرأة لائقة أو أحصل عليها وأفشل في

إقناعها بحقيقتي. إما أخلص لامرأة لا تستحق أو تُخلص لي امرأة لا أستحقها. وأنتِ، في هذا الخضمّ، أملي الأخير. لماذا أنتِ؟ لأنني انجذبتُ إليكِ انجذاباً لم أعرف له مثيلاً من قبل، لا في كيفيته ولا في نوعيّته. وأريدك أن تفهمي جيداً هذا الكلام.

أنت تحسبين أنني لا أعرف شيئاً عنكِ وأنتِ مخطئة. لا أعرف، ربّما، شيئاً عن حوادثك الشخصية وحياتك اليوميّة وماضيكِ وعلاقاتك البشريّة، لكنني أعرفك. أعرفك بالقدر الكافي ليجذبني إليك. أنتِ لا تؤمنين، ربّما، بالغيب. الغيب الحاضر المشّع، الراكب الرأس كالهاجس، الميّسر الأحوال، المدّبر الصدف، الصانع الأقدار. أنا أؤمن به. إن إلهي هو الصُدْفة. منذ أن بدأت الصحف تنشر اسمك وتنشر لكِ وتنشر عنكِ وشيء كالنسغ يسيل منكِ في عروقي. شيء كالضوء يلمع منك في رأسي، شيء كالوهج يجعلني مندهشاً ومتفاجئاً بكِ. شيء كالسرّ المتواطئ. كالشيطان. بل كالسحر. أنا أؤمن بهذا. كنت واثقاً أنني يجب أن أعرفك ويجب أن تنشأ بيننا علاقة حميمة، غير عادية. وكنتُ أقول في نفسي: لماذا يجب أن يعرفها كل هؤلاء إلا أنا؟(*) ألستُ أنا أحق من الجميع؟ كنت أشعر أنهم يظلمونني ويخطفونك منّي، وأن حقّي بك هو الحقّ الشرعي الوحيد.

من حقك أن تتعجبي وترفضي هذا الكلام. لكن إذا لم

(*) بعد صدور كتابي الأول **"عيناك قدري"** ـ ١٩٦٢، تكرم العديد من الأدباء والصحافيين اللبنانيين بزيارتي في بيتي في دمشق وبينهم من حاورني لمنبره وكان والدي يستقبلهم بحفاوة سعيداً باحتضان بيروت لي أديباً.



تصدقي فمعناه أنني مجنون. على كل حال قد أقبل منك هذه التهمة. لكن لا تقولي إنني أكذب.

أظن أنني كنت أحسّ بأنك منذورة لي. وكلّما كنت أطالع خبراً عنك كان يتوّلاني شعورٌ واضح بالغيرة والضيق والخوف. كنتُ أغار عليك من العالم. إنني أذكرك بلهجتي عندما كلمتك للمرة الأولى بالهاتف وكنتِ في دمشق. ألم تشعري بنبرات صوتي المليئة باللهفة؟ أم أنك نسبتها إلى المجاملة، أو إلى عادة كل رجل في التودّد؟ على كل حال لم يكن هناك لديك أي سبب معقول لتفكري في أي شيء.

وحين رأيتك للمرة الأولى ألم تلاحظي أنني لم أكن أقابل امرأة غريبة لا أعرفها وإنما امرأة كأنني أعرفتها من عهدٍ بعيد؟ ربما لم تلاحظي. أو لعلّك لاحظتِ ولم تفكري في شيء.

(أفكر الآن أنك قد تكونين مريضة اليوم فلا أراك. أمس أيضاً لم أرك. أفكر ماذا سأفعل. هل ستكونين مريضة اليوم؟ هناك شيء رهيب يتآمر عليّ في الخفاء. إنني مصابٌ بسرطان الزمن والخيبة).

أين كنت؟ كفى... يخيّل إليّ أنني سأخسر معركتي الأخيرة. ومهما قلتُ فلك أقول شيئاً مما أريد. إخرسِ إذن. إخرس أيها المسكين. لقد أُعطيت أن تتعلم دروساً كثيرةً لكنك لم تتعلم شيئاً. إلى أين ما تزال تمشي؟ إلى أين ما تزال تأمل؟ إنك تنتفض كالديك المذبوح. هذا هو كل شيء. أنزف بقيّة دمك وأنته.



أحقّاً؟ رغم كل شيء ما تزال عندي القوّة التي تمكّنني من المطالبة بأملي الأخير. إنني أرفض أن أستسلم قبل الدخول في هذا القَدَر. أريد أن أعرف للمرّة الأخيرة، وبكل قواي، مَنْ مِنْ الإثنين أشدّ ظلماً وقسوةً ولا معقولية: أنا أم العالم؟

أريد أن أنتزع الجواب، أن أنتزع الجواب بأسناني. لن أذهب قبل أن أعرف.

ليتك تعلمين كم أنتِ أساسيّة وخطيرة وحسّاسة. ليتك تعلمين كم أنتِ حيويّة ولا غنى عنك. ليتك تعلمين كم أنتِ كلّ شيء في صيرورتي. ليتك تعلمين كم أنتِ مسؤولة الآن.

لو تعلمين إلى أي درجة أنتِ مسؤولة عن مصيري الآن لارتجفتِ من الرعب. لقد أخترتكِ. وأنتِ مسؤولة عني شئتِ أم أبيتِ. لقد وضعتُ لعنتي الحرّة عليكِ.

هل يجب أن أعتذر إليكِ عن هذا الاختيار؟ لا أعتقد. في النهاية، لن تعرفي أجمل من حبّي. قد لا أكون واثقاً من شيء ثقتي بهذا الشيء. لا يمكن أن تعرفي أجمل من حبّي.

وأنتِ؟ هل أظلّ أتحدّث إليكِ دون حوار؟

لا. لا. لا يمكن أن يكون العالم قد أقفر إلى هذا الحدّ من الحنان. لا يمكن أن يكون العالم قد خلا هكذا دُفعةً واحدةً من الحبّ.

يمكن؟

فليخلُ. فلينتهِ الحبّ من الأرض وليذهب الناس إلى الجحيم. سأبقى وحدي أطبع حبّي على الحجارة. سأحبّ



وحدي الموت والأشباح. وسأحبّ النهار أيضاً. وسأحبّ انقراض نفسي العاشقة في هذا العالم الحقير. وسأحبّكِ.

ولن أقول شيئاً غير هذا.

٣ ـ ٤/ ١٢/ ١٩٦٣



هل مما ينتقص من كرامة الإنسان أن
يكون بحاجة إلى إنسان آخر؟ ربما لا
وربما نعم. لكن المشكلة ليست في الجواب
لا أو نعم. فسواءً كان الجواب لا أو
نعم يبقى الكائن محتاجاً. هذه هي المشكلة.
لكن لا بأس.

كيف الحال؟ لست مشتاقاً إليك
فحسب بل... بل ماذا؟ لا أعلم تماماً. الثابت
أن هناك شيئاً آخر أقرب إلى العشق. والأدهى
من ذلك كله هو أنني أحب أن أحبك.
غير أن الفكرة التي أتبناها الآن ليست صحيحة.

خطأ يا آنستي العزيزة. لا أحب
أن أحبك لأنني أحب ذكرى الحب الحزين.. لا
لقد تخطيت هذه المرحلة. أحب أن أحبك
لأنك تمثلين في نظري خشبة الخلاص
الوحيدة المطلقة أو اللانهائية. لماذا أنتِ
بالذات؟ فلا تشرحي لي أيتها المجنونة
الجميلة.



أرجوك لا تحدثي غيرك..

أنتِ تظنين أنني خبأتُ ذلك غباوةً وبلاهة

فلكِ، لكن، أحبك. وأنتِ تظنين أنني هارب

وأنني، في الحقيقة، مستعد أن أحيط حياة

على أي امرأة أخرى وأفعل شيئاً، كما أحبك.

لقد قالت لي ذات مساء امرأة أحببتها حتى

الموت: أنت تخيفني لأنك من النوع الذي يستطيع

أن ينام مع ثلاث نساء مختلفات في اليوم الواحد

وقالت لي مرة أخرى: لن أصدقك مهما أقسمت

أنك وفيّ لي لأنني أعرف أنك ستملني يوماً من

الأيام كما مللت سواي قبلي! وقالت لي، هذه

المرأة التي أحببتها حتى الموت – أشياء

كثيرة كهذه، أعني أنني، في الحقيقة، لها

وحدها وكنت مصمماً أن لا أكون إلا لها وحدها

حتى النهاية.

هل تعرفين لماذا انتهى ما كان بيننا؟

لأنها كانت تعني هذه العبادة ولم أكن أصدقها،

ولأنني كنت أعيدها هذه الجملة ولم تكن تصدقني.

بيننا. نعم، لأننا أحببنا أن نلعب لعبة الذكاء

والشطارة في مثل تجربة مشابهة إلى حد الانخداع!



كنتُ أنا أعرفها، ضمناً، أنّك لا تخادعي، لكنني
كنتُ أماطل نفسي وأؤجّل مسألة التفتيش عنها منذ
أن الاستمرار بالشك دليل حذر، ودليل رجولة ودليل
ذكاء. هذه مخاوف الكارثة.

أشعل كارثة، كارثة. لم يكن هناك أي
أمل بالانهيار عندنا. لقد قطعناه بسيف أكثرنا
الأبله.

هذه بلاد صغيرة ملعونة يسيطر فيها الكذب والغباء.
لذلك أنتِ أيضاً لا تصدقين. لأنك أنتِ أيضاً
أيضاً تتصورين أنني من النوع الذي يخلع نساءه
كما يخلع معطفه. والقضية أنني [illegible]
لهذا النوع.

إنني كلما أتصور بأن أحب امرأة بمفرده
أحبها واحداً وحيداً وأخلص لها حتى النهاية وأستنفد
نفسي وأجدد نفسي، أستنفد نفسي وأجدد
نفسي معها إلى النهاية. هذا الحب إنما أفضّل
من الوقوع على امرأة لا ثقة أو أفضل علاقة
وأتحمل نحو إخلاص حقيقي. إنما أفضّل امرأة
لا تستحق أو أفضّل أي امرأة لا أستحقها.



وأنتِ، في هذا الخضم، أغلى الأشياء، كلا إنكِ؟
لأنني انجذبت إليكِ انجذاباً لم أعرف له مثيلاً
من قبل، لا في كينونتي ولا في تجاربي وتجاربك
أرجو أن نفهم جيداً هذا الكلام.

• أنتِ تحسبين أننا لا نعرف شيئاً عنكِ
وأنتِ مخطئة. لا أعرف - ربما - شيئاً عن
حياتك الشخصية وحياتك السرية وماضيك
وملابساتك البشرية، لكنني أعرفك. أعرفك بالقدر
الكافي لينتمي إليك. أنتِ لا تؤمنين - ربما -
بالحب. الحب الحاضر المستقبل، الراكب الراسخ
الحاسم، المثير الأخضر، الأكبر الصادق،
الصانع الأقدار. أنا أؤمن به. إن الحب
مع الصدفة. منذ أن بدأت الصدفة نتشر
معك ونتشر لك ونتشر منك ونتشر
كالنسيم يسيل منك في عروقي. نتشر
كالضوء يلمع منك في رأسي. نتشر كالوهج
يجعلني مندهشاً ومشغوفاً بكِ. نتشر كالسحر
المتساقط. كالسحابات. بل كالسحر. أنا
لا أؤمن بها. لكنني واثق أنني يجب أن أعرفك
ويجب أن تكون بيننا علاقة مختلفة، غير عادية.



وكنت أصرخ في نفسي: لماذا يجب أن يعرفك كل هؤلاء إلا أنا؟ ألست أنا أحق من الجميع؟ كنت أشعر أنهم يظلمونني ويختطفونك مني، وأنك حقي بل هو الحق الشرعي الوحيد.

من حقك أن تتعجبي وترفضي هذا الكلام. لكن إذا لم تصدقي فمعناه أنني مجنون. على كل حال قد أقبل منك هذه التهمة. لكن لا تتهمي إيماني بالكذب.

أظن أنني كنت أعشق بأذني [illegible]. وكلما كنت أطالع خبرا عنك كانت تنتابني مشاعر مزيج الغيرة والضيق والخوف. كنت أتمنى غيابك من العالم. إنما أدركت الحقيقة عندما كلمتك للمرة الأولى بالتلفون وكنت في دمشق. ألم تشعري بنبرات صوتي المليئة بالرهبة؟ أم أنك نسيتها بين الكلمات، أو [illegible] كل رجل في التقدير؟ على كل حال لم يكن هناك لديك أي سبب معقول لتشكي في أي شيء.

وحبيبي، أتذكر المرة الأولى ألم تلاحظي أنني لم أكن
أتأمل امرأة غريبة لا أعرفها، وإنما امرأة كأنني
أعرفها منذ عهد بعيد؟ ربما لم تلاحظي. أو
لعلك لاحظت ولم تعلقي بأي شيء.

(أتذكر الثلاثاء؟ أتذكر بعد تكويني رحلة السويس فلا أراك.
أمس أيضًا لم أرك. أتذكر ماذا سأفعل؟ وهل ستنتهين
من رحلة السويس؟ هناك شيء رهيب يتآمر علي حتى الكتابة.
إنها مصابة بسرطان الزمن والغيبة)

أين كنت؟ كفى... يخيل إلي أنني سأخسر
معركتي الأخيرة. وعندها علمت فلن أقول شيئًا مما أريد
أفرح إذن. أفرحي أيتها المسكينة. لقد أعطيت
أن تتعلمي دروسًا كثيرة لكنك لم تتعلمي شيئًا. إلى أين
ما تزال تمشين؟ إلى أين ما تزال تطير؟ أتظل تتخبط
كالديك المذبوح. هذا هو كل شيء. انزفي بقية
دمك وانتهي.

أحقًا؟ رغم كل شيء ما تزال عندي القدرة
التي تمكنني من الكتابة أيها الأخير. إنني أقصد
أنه أن أستسلم قبل الدخول في هذا القدر. أريد



أن أعرف اللحظة الأخيرة ، وبكل قوتي ، من منّا الاثنين أشدّ ظلماً ووحشية ولا معقولية : أنا أم العالم .

أريد أن انتزع الجواب ، أن انتزع الجواب انتزاعاً . لن أذهب قبل أن أعرف .

ليتك تعلمين كم أنت إنسانية وفطرية ومتناسقة . ليتك تعلمين كم أنت حيوية ولا غنى عنك . ليتك تعلمين كم أنت لا تشبهين صورتي . ليتك تعلمين كم أنت مسؤولة تماماً .

لو تعلمين إلى أي درجة أنت مسؤولة عن مصيري الذي لا ينفصل عن مصيرك . لقد اخترتك ، وأنت مسؤولة عني شئتِ أم أبيتِ . لقد صدقتِ لعبتي الشريرة كلها .

هل يجب أن أعتذر إليك من هذا الاختيار ؟ لا أعتقد . في النهاية ، لن تعرفي أجمل من حب ، ولا أكمل وأنقى منه .



شبيهاً نفسي بهذا الشبح . لا يمكن أن تعرفا
أجمل منه شيئ .

وأنت ؟ . هل أظل اتحدث إليك دون
هدف ؟

لا . لا . لا يمكن أن يكون العالم قد
أفضى إلى هذا الحد من الكآبة . لا يمكن
أن يكون العالم قد خلا هكذا دفعة واحدة
من الحب .

يمكن ؟

فليكن .
وليذهب الناس إلى الجحيم . سأبقى
وحدي أطبع قبلتي على الحجارة . سأبقى
وحدي مع الموت والأشباح . وسأهبك الشوك
أيضاً . وسأهبك انقراضها تنبت العاصفة
في هذا العالم الكبير . وسأهبك .

ولن أقول شيئاً غير هذا .

٦٣/١٢/٤-٣



فجر الخميس ٥/ ١٢/ ٦٣

نصف الحبّ إرادة. النصف الآخر استعداد ومقبّلات.

قرّرتُ أنني **أريد** أن أحبّك.

لا أنوي تخويفك، لكن هذه هي الحقيقة: **أريد** أن أحبّك حتى النهاية.

فإمّا أنتِ، أو النهاية.

وفي الحالتين أنتِ ضميري.

وأنت أيضاً، أتظّنين أنّك لستِ في حاجة إليّ؟

(المعذرة عن الورق. لم يعد عندي وَرَق مليح)(*).

أنا لا أظن أنني وحدي بحاجة إليكِ. أنت أيضاً محتاجة إليّ.

فلتكن لكِ الشجاعة أن تعترفي بذلك. لقد كنتُ شجاعاً وقلتُ لكِ ما أنا فيه.

* * *

سخيف.

(*) الطريف ان أنسي كان يكتب رسائله لي على أوراق الدفاتر المدرسية أو على الوجه الثاني لـ"تلكس" وصل إلى جريدة "النهار" من وكالات الأنباء كما في رسالته الأخيرة التي تحمل على الوجه الثاني للورقة أنباء عن إمكانية غزو الفضاء والقمر!



بلى. أقصد أنا سخيف. ولا شك أنك تفكرين: لماذا يصرّ كل هذا الإصرار على افتعال شيء غريب؟ والسخف أنني أنا المسؤول عن جعلك تفكرين بهذه الطريقة لإخفاقي في تقديم الأشياء بالصيغة المقنعة.

هكذا معظم الأحيان.

أقصد هكذا معظم الأحيان عندما أكون صادقاً.

كنتُ في الماضي أستغرب ولا أفهم لماذا كان بروميثيوس يرفض طَلَب الرحمة. وكنت أغضب منه وأتهّمه بالتمثيل وأخْذ البوزات. ذلك أني لم أكن قد بلغت الدرجة الكافية من الشعور بالكرامة (هل تصدقين؟ حتّى هذه اللفظة أخجل بذكرها).

هل تعرفين لماذا أنا اليوم أرفض أن أطلب الرحمة؟ أن أطلبها، مثلاً، منكِ؟

لماذا؟ ألأنني أخجل بعواطفي؟ ألأنني فُطِمْتُ في العواطف قبل الأوان؟ ألأنني متكبر؟ أحمق؟ متحجّر؟ جبان؟

هناك أشخاص أُحبّهم للقتل، للجنون، ولكنهم لا يعرفون أنني أحبّهم ولا أعرف أن أعبّر لهم بل ولا أترك مجالاً لأعبّر لهم. وأظلّ أندم على جهلهم هذا، ولكن لا أستطيع أن أعمل شيئاً. وأخيراً أصحو فأجد أنني خسرتهم.

لماذا أنا هكذا؟

إنني أكره النهر. أكره المطر. أكره الشمس والشلّال والدم المتفجّر. آه كم أكره البراكين الثائرة!

فأنا مقيّد! وأرفض أن أفجّر عواطفي! ومن أحبّه لا يعرف!



ومن لا أحبّه لا يعرف! لا أحد يعرف! إنني لم أتعلّم كلمة واحدة أستطيع أن أقولها بملء أحشائي.

وأنتِ، اليوم أيضاً، ستعودين وأبقى وحيداً وحدي![*]...

* * *

إذهب أنت. اخرجوا من هنا، بسرعة. خذوا الكراسي معكم. كلوني في الخارج. لا أريد أن أرى أحداً. احرقوا الكتب جيّداً وفلّتوا الذئاب. اتركوا المفاتيح أمامي.

* * *

فيروز والرحبانيّان أوصلوني إلى بيتي. صعدتُ الدَرَج والنار والفراغ. الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه. الشيء البديع العظيم الخياليّ الذي أريد أن أنساه، لا أحد يساعدني على قتله.

الجريمة ليست القتل. الجريمة أن لا نستطيع أن نقتل ما يجب أن نقتله. أنا هو المجْرم.

الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه. الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه. الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه.

الشيء الذي لا أنساه.

الشيء الذي يجب يجب الشيء الذي **أريد** أن أنساه!!!

(*) كُنتُ مضطرة للعودة إلى "بستاني هول" في القسم الداخلي للبنات في حرم الجامعة الأميركية حيث كُنتُ أقيم، وكان عليَّ أن أصل قبل الساعة ١١ ليلاً حين تغلق الأبواب دونما استثناء. والشيء ذاته كان ينطبق على "جويت هول" و"ميوريكس هول" المجاورين، ولم يكن بوسعي السهر في الخارج بعد الساعة ١١ ليلاً.



أيّتها المرأة، أنتِ التي تقرأ هذه الأسطر، أنتِ.

اسكبي على عقليَ نارك. خذيني. افتحي لي باباً، افتحي لي قبراً، افتحي لي فراغاً ما.

فتّتي أعصابي، خذيني!

لم يصرخ أحدٌ قبليَ كهذه الصرخة:

خذيني!...

لا أريد أن يبقى منّي شيء. أريد أن أجدّد عهد صوفيّة الجسد والروح، وأفنى في امرأة. اتركيني أفعل فنائي فيكِ. اتركيني أصنع ما لا تصنعه غير يديّ في هذا العالم.

أريد أن أنفض كل الريش وأختفي.

أريد أن أختفي!

* * *

مسكين هو النوم! لقد وضعتُه في قفص. مات النوم.

طبعاً سنخترع نوماً آخر. ثم يموت.

هل تعرفين؟ سجّلي في يدك: لقد مات الموت!

* * *

أين أنتِ الآن؟

العالمُ الحقير كبيرٌ وشاسع. البَرْد واقفٌ في قلبي. المدينة؟ المدينة لفظة أدبيّة حلوة إلى حين. أما أنا فلم يَعُد يخرق رأسي لفظة واحدة. كأنني شبّيت وراهقتُ وكهلت وهرمت في لحظة واحدة. العالم كلّه تحت حذائي، لكّني لا أستطيع أن أقوم من فوقه وأذهب.



ماذا تفعلين الآن؟ نمتِ؟ هنيئاً، أتساءل كيف تقدرين؟ أحسدكِ. أحياناً يخيّل إليّ أنني لا أعرفكِ. أحياناً أكرهكِ. أحياناً كثيرة أحتقر نفسي لأنني أكلّمك عن نفسي. وأحياناً كثيرة أقول إنني أظلمك. وأحياناً كثيرة يتولاّني من جديد أملٌ أعمى بأن تستجيبي إليّ. وأحياناً آخذ هذا الأمل معي إلى الفراش، فجأةً، وقبل أن يفتح عينيه أغفو عليه...

هل فقد العالم عقله؟ ربّما.

أنا أيضاً أحبّ. لكن بشكلٍ آخر. إن جنوني نقيض جنونِ العالم.

وسأكون، في العالم المجنون، العاقل الوحيد.

* * *

أرجوكِ أن تغفري لي هذه الثرثرة. عذري الوحيد أنني صادق، وممزّق، وأرتاح إليكِ.

ماذا ستقولين الآن؟ لا أعرف، أخاف أن أفكر فيه. هذا هو اليوم الثالث الذي لا أستطيع فيه أن أجلس وإياك على انفراد(*). ماذا سيصير اليوم؟ هل سأظلّ مذبوحاً؟

آه! ليت لي عيوناً كثيرة لأوزّعها على أصدقائي!!!

٤ ـ ٥/١٢/٦٣

(*) "الجلوس على انفراد" كان شبه متعذر في مقاهي المثقفين هذه، إذ ما يكاد يرانا من يعرفنا حتى ينضم إلى مائدتنا دونما استئذان كجزء من تقاليد تلك المقاهي في ستينات وسبعينات القرن المنصرم.





فجر الخميس ٥ / ١٢ / ٦٣

نصف الحب إرادة. النصف الآخر استعداد وقابليات..

قررت أنني أريد أن أحبك.

لا أنوي تحويلك، لكن هذه هي الحقيقة!

أريد أن أحبك هذه الشراكة.

تماما أنت، أو الشراكة.

وفي الحالتين أنت ضميري.



وأنت أيضاً ، أتظنين أنك لست في حاجة إليّ ؟

(المعذرة عن الورق . لم يعد عندي ورق طبيعي)

أنا لا أظن أنني وحدي بحاجة إليك . أنت أيضاً محتاجة إليّ .

فلذلك لك الشجاعة أن تعترفي بذلك . لقد كنتُ شجاعاً وقلتُ لك ما أنا فيه .

× ×

سخيف .

بلى . أقصد أنا سخيف . ولا شك أنك تفكرين : لماذا يصرّ كل هذا الإصرار على افتعال شيء غريب ؟ والحق أنني أنا المسؤول عن جعلك تفكرين بهذه الطريقة لإخفاقي في تقديم الأشياء بالصيغة المقنعة .

هكذا معظم الأحيان



أقصد هكذا معظم الأحيان عندما أكون صادقًا .

كنت في الماضي أستغرب ولا أفهم لماذا كان بروميثيوس
يرفض طلب الرحمة . وكنت أغضب منه وأتهمه
بالتمثيل وأخذ البوزات . ذلك أني لم أكن قد
بلغت الدرجة الكافية من الشعور بالكرامة (هل
تصدقينه ؟ هذه اللفظة أخجل بذكرها)

هل تعرفين لماذا أنا اليوم أرفض أن أطلب
الرحمة ؟ أو الطيبة ، مثلاً ، منك ؟

لماذا ؟ الأنني أخجل بعواطفي ؟ الأنني
انطفأت في العواطف قبل الأوان ؟ الأنني متكبر ؟
أحمق ؟ متحجر ؟ جبان ؟

هناك أشخاص أحبهم للقتل ، للجنون ، ولكنهم
لا يعرفون أنني أحبهم ولا أعرف أن أعبر لهم بل
ولا أترك مجالاً للتعبير لهم . وأظل أندم على جهلهم
هذا ، ولكن لا أستطيع أن أعمل شيئًا . وأخيرًا
أصحو فأجد أنني خسرتهم .

لماذا أنا هكذا ؟



إنني أكره النهر. أكره المطر. أكره الشمس
والشلال والدم المتفجر. آه كم أكره البراكين
الثائرة!

أنا متعب! وأرفض أن أغير عواطفي!
ومن أحبه لا يعرفها! ومن لا أحبه لا
يعرفها! لا أحد يعرفها! إنني لم أتعلم كلمة
واحدة أستطيع أن أقولها بل أحسها.
وأنت، اليوم أيضاً، ستعودين وأبقى
وحيداً وحدي!...

x x x

أذهب إني. ارجعوا من هنا، بسرعة. خذوا
الكأس معكم. كلوني في الخارج. لا أريد أن
أرى أحداً. احرقوا الكتب جيداً وغلقوا الأبواب.
اتركوا المفاتيح أمامي.

x x x

جنود والرهبانيات أوصلوني إلى بيتي. صعدت
الدرج والنار والفزع. الشيء الرائع الذي أريد



أن أنساه . الشيء البديع العظيم الكبير
الذي أريد أن أنساه ، لا أحد يساعدني على
فعله .

الكريهة ليست القتل . الكريهة أن لست
تستطيع أن تقتل ما يجب أن تقتله .
أنا هو المجنون .

الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه .

الشيء الرائع الذي أريد أن أنساه . الشيء الرائع
الذي أريد أن أنساه .

الشيء الذي لا أنساه .

الشيء الذي يجب يجب يجب الشيء
الذي أريد أن أنساه !!!

أيتها المرأة ، أنت التي تقرأ هذه
الأسطر ، أنتحر .
اسكبي على قبري نارك . خذيني .



افتحي لي بابًا، افتحي لي قبرًا، افتحي لي فراشًا ما.

فتشي أصحابي، خذني!

لم يعرف أحدٌ قبلي كنه الصرخة

خذني!...

لا أريد أن ينقص مني شيء. أريد أن آخذ مجد صوفية الجسد والروح، وأفنى في أسرارك. اتركيني أفعل ما لم يفعل أحد. اتركيني أصنع ما لم تصنعه غير يدي في هذا العالم.

أريد أن أنفض كل الوحشة وأخفق

أريد أن أخفق!

* * *

مسكين هو النوم! لقد وضعته في قفص. مات النوم.



طبعاً ستشترين ثوباً آخر. ثم يموت.

هل تعرفين؟ ستبلى في يديك: لقد مات
الموت!

* * *

أين أنت الآن؟

العالم الحقير كبير وشاسع. التمرد
واقف في قلبي. المدينة؟ المدينة لحظة أبدية
حلوة إلى حين. أما أنا فلم تعد تخترق رأسي
لحظة واحدة. كأنني شبعت وراقبت وكملت
وهرمت في لحظة واحدة. العالم كله تحت
حذائي، لكنني لا أستطيع أن أقلع من
قوقعتي وأذهب.

ماذا تفعلين الآن؟ تموت؟ فنيتا، أتساءل
كيف تقدرين. أحسدك. أحياناً يخيل إلي
أنني لا أعرفك. أحياناً أكرهك. أحياناً
كثيرة أحتقر نفسي لأنني أكلمك عن نفسي.



وأحيانا كثيرة أقول ربي الكامل، وأحيانا كثيرة تشرق من جديد أمل؟ أي بأن تستجيب إليّ. وأحيانا آخذ هذا الأمل معي إلى الفراش، نهاية، وقبل أن تغمض عينيه أغفو عليه...

هل فقد العالم عقله؟ ربما.

أنا أيضا أحب. لكن بشكل آخر.

إن جنوني نفسه جنون العالم.

وسأكون، في العالم المجنون، العاقل الوحيد.

x x x

أريدك أن تغفري لي هذه الثرثرة، عذري الوحيد أنني صادق، ومتمزق، وأنا هو إليك.

ماذا ستفعلين الآن؟ لا أعرف. أخاف أن أفكر فيه. هذا هو العصر الثالث الذي لا أستطيع فيه أن أجلس وراءك على انفراد. ماذا سيصير اليوم! هل تحفظ هدوءها؟ آه! ليت لي عيونا كثيرة لأوزعها على أصدقائي!!!

٤-٥/١٢/٦٣

لو صاغ الإنسان أفكاره تساؤلات فماذا يطلع؟

مثلاً:

هل ما شعر به هو حبّ أم أنّه انجذاب مؤقت؟

هل هو حقيقيّ؟ ومن يقيس الحقيقي؟

هل هو من استفزاز الفضول؟ هل هو من تحدّي المجهول؟ هل تحدوه مجرّد الرغبة في مغامرة؟

لماذا هي لا سواها؟ هل في اختيارها هي بالذات تقصُّد أم مجرّد صدفة؟

وما الفرق بين الأول والثانية؟ المهمّ هو "كيف" أم الشعور بذاته؟

ألا أعتقد أنّني أبالغ بإعطاء مشاعري أهميّة زائفة؟

ألا أعتقد أنّني تسرّعت في عرض نفسي حتى ظنّت هي - خطأً - أنني من السهولة بحيث كنت لأعرض نفسي على أيّة امرأة كانت؟

ألا أعتقد أنها استسهلتني كثيراً؟

ألا أعتقد أنني لاحقتُ فكرةً ربّما لم تكن تخطر في بالها هي بالمرّة؟

ألا أعتقد أنّني ارتكبتَ للمرة الأولى في حياتي حماقةً



ضخمة تهتزّ لها ضحكاً الأمّة العربيّة من المحيط إلى الخليج رغم أنها تخجل من الضحك؟

ألا أعتقد أنني، في هَرَبي من أعداء وأحبّاء وأشياء كثيرة، صادفتُ امرأةً هي أيضاً هاربة وتريد أن تظل هاربة من أعداء وأحبّاء وأشياء كثيرة؟ وأنها لا تريد أن تتوقّف؟ وأنها لا تريد أن تُخدَع؟ وأنها لا تريد أن تُسْتَصْغَر؟ وأنها لا تريد؟

لماذا لا تريد؟ وهل في الحياة أجمل من الحبّ؟ ألم أتعلّم أنا، مثلاً، ذلك على حسابي؟ ألم تتعلّمه هي؟ بلى؟ لماذا إذنْ لا تريد؟

لماذا لا تحبّ أيّ شخص أيّ شخص أيّ شخص لماذا لا تحب أيّ شخص؟

هل هي ممنوعة إلى هذا الحدّ؟ ألا تكون محقّة وأنا منافقاً؟ ألا تكون هي في ذروة الإخلاص وفي منتهى الأصالة؟ ألا تكون هي في ذروة القداسة؟ لكن الحب؟ الحب عار؟ سقوط؟ انخداع؟

أظنّ أنني أحبّها؟ ربّما؟ أليس المؤكّد على كلّ حال أنني أحبّ أن أحبّها؟ أليس الأكثر تأكّداً أنني أحبّ أن تحبّني؟

تجليط؟ تمثيل؟

لو أراد الإنسان أن يصوغ أفكاره بشكل جوابيّ فماذا يقول؟

مثلاً:

كلاّ ليس تجليطاً ولا تمثيلاً.

هذه المرأة يجب أن تُحبّ. أن تحبّ شخصاً كائناً من كان. هذه المرأة تُحَبّ. هذه المرأة؟



غادة السمّان.

لكن هذا ليس اسمها. إنّها لم تُسمَّ. لا إسم لها. اسمُها في رياح قَدَرٍ ترفضُهُ، ترفُضُه، لكنّها ستقبله.

ستقبله؟ نعم.

إذا أراد الإنسان أن يصوغ أفكاره بشكل افتراضات فماذا يقول؟

مثلاً:

لو وُجد رجل وامرأة أحدهما بحاجة إلى الآخر أو كلاهما بحاجة إلى بعضهما البعض، لأن بإمكان كلّ منهما أن يعطي الآخر ما هو بحاجةٍ إليه، فهل يبقى هناك ما يعترض نشوء علاقة حبّ بينهما؟

وعلى افتراض وردت فكرة علاقة الحبّ، فهل ما يُشْتَرَط لإقامتها؟ أيّ شروط؟ من أيّ نوع؟

إذا أراد الإنسان أن يصوغ أفكاره بشكل رجاء فماذا يقول؟

مثلاً:

أن يكون قد توصّل إلى إبلاغ شيء ولو قليل من الأفكار التي تراوده، وأن يكون قد مهّد.

لكن لو أراد الإنسان أن يصوغ أفكاره بشكل مختصر يتضمن كل الحقيقة لقال، مثلاً:

أحبّيني؟

لا. بل لقال: دعيني أمتلئ بكِ وأملأُكِ




مكتبة
الفكر الجديد

لو صاغ الإنسان أفكاره تساؤلات فلماذا يطلع؟

فمثلاً:

هل ما أشعر به هو حب أم أنه انجذاب مؤقت؟

هل هو حقيقي؟ ومن يضمن الحقيقي؟

هل هو من استفزاز الفضول؟ هل هو

من تحدي المجهول؟ هل نحدده مجرد الرغبة في مغامرة؟

لماذا هي لا سواها؟ هل هي اختيارها هي

بالذات بقصد أم مجرد صدفة؟

وما الفرق بين الأولى والثانية؟ المهم هو

كيف؟ أم الشعور بذاته؟

ألا أعتقد أنني أبالغ بإعطاء مشاعري

أهمية زائدة؟

ألا أعتقد أنني تسرعت في عرضها لنفسي



عند ظننت في خطأ أنني من السهولة بحيث

كنت لأفرض نفسي على أية امرأة كانت؟

ألا أعتقد أنك استسهلتني كثيراً؟

ألا أعتقد أنني لامست فكرة ربما لم

تكن تخطر ببالك في بالمرة؟

ألا أعتقد أنني ارتكبت للمرة الأولى في حياتي

حماقة صغيرة تنهض لها أخلاق الأمة العربية من المحيط

إلى الخليج رغم أنك تخجل من الحماقة؟

ألا أعتقد أنني، في تجربتي مع أعداء

وأحقاد وأشياء كثيرة، صادفت امرأة في أعماقها

حارة وتريد أن تخطو خارجها من أعداء وأحقاد وأشياء

كثيرة؟ وأنك لا تريد أن تتوقف؟ وأنك لا تريد

أن تتقدم؟ وأنك لا تريد أن تستمر؟ وأنك

لا تريد؟

لماذا لا تريد؟ وهل في الحياة أجمل من



الحب ؛ ألم أتعلم ذلك ، مثلاً ، ذلك على حسابي ؛ ألم

تتعلمه في ؟ بلى ؛ لماذا اذن لا تريد ؟

لماذا لا تحب أي شخص أي شيء أي

شيء لماذا لا تحب أي شيء ؟

هل في مندوحة الى هذا الحد ؟ ألا تكون

مخيفة وإذاً فنافقاً ؛ ألا تكون في حب في ذروة الأوهام

وفي منتهى الوصالة ؟ ألا تكون حب في ذروة القذارة

لكن الحب ؛ الحب عار ؛ سقوط ؛ انخداع ؟

أظن أنني أخجل ؟ ربما ؟ أليس المؤكد

على كل حال أنني احب أو أخجل ؛ أليس الأكثر

تأكيداً أنني أحب أو شيئني ؟

تحليط ؟ تمثيل ؟

لا أريد الإنسان أن يلغي أفكاره بشكل

عبداني فلماذا يقول ؟



مثال :

كلا ليس تخطيطاً ولا تمثيلاً .

هذه المرأة يجب أن تُحب . أن تحب شخصاً
كائناً من كان . هذه المرأة تُحب . هذه المرأة ؟
نادرة السمات .

لكن هذا ليس أسلوباً . إنها لم تُسمِّ
لا اسم لها . أسلوب في ركام قديم ، ترفضه :
ترفضه ، لكنها تستقبله .

تستقبله ؟ نعم .

إذا أراد الإنسان أن يلغي أفكاره بشكل
اعتراضات فماذا يفعل ؟

مثلاً :

لو وجد رجل وامرأة أحدهما بحاجة إلى
الآخر أو كلاهما بحاجة إلى بعضهما البعض ، ودون بإمكان كل
منهما أن يعطي الآخر ما هو بحاجة إليه ، فهل يبقى



هناك ما يفرضها نسق علاقة حب بينها!

وعلى افتراضنا وجود فكرة علاقة الحب، فهل

ما يشترط لإقامتها؟ أي شروط! من أي نوع؟

إذا أراد الإنسان أن يلغي أفكاره بشكل

رجاء، فماذا تقول؟

قيل:

أن يكون قد توصل إلى إلغاء شيء ولو

قليل من الأفكار التي تراوده، لأن يكون قد مهّد

لكن لو أراد الإنسان أن يلغي أفكاره

بشكل مختصر يتلاءم مع الحقيقة لقال، مثلاً:

أحبيني؟

لا. بل لقال: دعيني أفكر بك




مكتبة
الفكر الجديد

مرّ النهار؟ إنّما العبرة في اللّيل. لكن الحقيقة أنني طمّاع، فلو كان اللّيل قد مرّ لكُنتُ قلت: مرّ اللّيل؟ إنما العبرة في النهار. وإذا كان من حقيقةٍ أُخرى (والحقائقُ تُختَرَع لتغذية الحديث) فهي أن لا ليل هناك ولا نهار وإنما وقتٌ للمجابهة ووقتٌ للهرب. والمرتاحون هم الذين نظّموا هذه المناصفة وجعلوا التعاقُبَ مرتّباً. بالنسبة لي، مثلاً، اختلط وقت المجابهة بوقت الهرب فصرتُ أجابِهُ وأهرب في وقتٍ واحد وتفرّع هذا الوقت نفسه إلى أجزاء كلّ جزء منها يتنازعه الهرب والمجابهة الخ... وليست صحيحاً أنني أخاف اللّيل أكثر من النهار وإنّما أنا أخاف أن أكون وحدي، معزولاً عمّا يهمّني، عمّا أهجس به وأحبّه ولا أصدّقه، مقطوعاً عن العالم الذي أتّهمه بأنّه يخدعني دائماً وخصوصاً في غيابي. فكم أشتهي أن أُباغت العالم وأفضحه وهو يخدعني، هذا الذي يدّعي الإخلاص لي، ويدّعي العذاب من أجلي، ويدّعي العزلة والوحشة والوفاء!

أهلاً بكِ **يا غادة**. الساعة الآن شيءٌ ما بعد نصف اللّيل، لعلّك نائمة.

ترى ماذا يشغل فكرك الآخر؟ أقصد فكرك المخفيّ وراء الوجه الآخر للقمر؟ كم أحبّ أن أعرف ماذا دار وماذا يدور في رأسك! وكم تخطئين في وصف هذه الرغبة بالفضول! لأنها



ليست أكثر من شهوة عارمة عظيمة إلى تصفيتكِ من غربتكِ وضمّك إلى قلبي وأفكاري وحياتي. أريد، ولا شيء أكثر الآن، أن أتحد بكِ.

هل أمضيتِ نهاراً حلواً أمس؟ وسهرة السبت؟ والدروس، كيف الدروس؟ والكتابة؟ ماذا كتبتِ هذه الأيام؟ لم تُقرئيني شيئاً بعد. كأنك تعتبرين ذلك مُسْتَهْلَكاً سَلَفاً، أو سراً بينك وبين نفسك وحدها، أو فضيحةً للكتمان.

الكتمان! هذه هي الكلمة. أريد أن أمزّق الكتمان عنكِ. لماذا يخيّل إليّ أنّك تخافين مني؟ أقصد تخافين منّي خوف عَدَم الثقة لا خوف الجبن. لماذا؟ هل تعتقدين حقاً أنّني شرّير ومغامر وممثّل أو طالب قصّة عابرة؟

هل ضايقك هذا الكلام؟ يجب أن لا تتضايقي. لا أعرف شخصاً سواكِ أتحدّث إليه. صرتِ كلّ شيء. أعرفُكِ وتعرفينني منذ البداية. أنتِ أُختي وحبيبتي. بلى بلى. محوتُ عن شفتيكِ جلّاد الابتسامة الهازئة ونفختُ فيكِ إيماني بكِ. ولا أريد أن أعترف بشيء آخر عدا أنّكِ هنا، وأنني هنا، وأننا سنبقى معاً، وأنّكِ ستبكين وتضحكين من قلبكِ وقلبي، وأن مجهولك أضاء في خلايا كياني وانتشر كماء العشق في أحلامي وبدّد جسورك وجسوري وصرنا نهراً واحداً. ولن أدعكِ تتراجعين. ولن أدعك تتركينني أتراجع. لن أدعك تقترفين الجريمة...

... ثم، لماذا يخيّل إليّ أنني، في كل ما أقوله لكِ، أصرخ في وادٍ؟ وأن حواري معك حوار طرشان؟ وأنك لا



تقدّرين أهمّيتك بالنسبة لي؟

هل صحيح هذا؟ يا إلهي! ماذا أفعل!...

* * *

صدري امتلأ بالدخان. أشعر بحاجة لا توصَف، لا يصدّقها العقل، إليكِ. أشعر بجوعٍ إلى صدرك. بنهم إلى وجهك ويديكِ ودفئك وفمك وعنقك، إلى عينيك. بَنَهم إلَيكِ. أشعر بجوعٍ وحشيّ إلى أخذك. إلى احتضانك واعتصارك وإعطائك كلّ ما فيّ من حاجةٍ إلى أخذ الرعشة الإلهيّة وإعطائها. كياني كلّه تحفّز إليكِ. إنّكِ تُخيّلين على أفكاري وتلتهمينني. هل أكمل **يا غادة**؟ هل أكمل محاولة وصف ما بي؟ أم أنّك لا تبالين؟ أم أنّك ستقولين لي إنّك معتادة على هذا الهذيان؟ وإنه هذيان مؤقت؟ وإن الصحو الذي يعقبه يفضحه؟ أم أنّك ستظلّين تتسلحين بالهدوء والحكمة والصبر والتصبّر والانتظار والدرس؟ ألا يكفيك؟ ألا ترين؟ ألا ترين؟ هل صُنعت عيناكِ الرائعتان لتكونا رائعتين فقط لمن ينظر إليهما؟

* * *

لا شيء يبرّر عذابي الآن إلاّ صدقي، إذا سلّمنا أن الصدق لا بدّ أن يكون دائماً شهيداً.

أنتِ تعتقدين أن التجارب التي مرّت بكِ تضطركِ إلى التزام موقف الحَذَر الشديد والحيطة والتنبّه والشكّ والرفض والسخرية الذي التزمتهِ معي حتّى الآن. أنا أفهم تفكيرك جيّداً..

ولماذا، لماذا يخيل إليّ أنك **تعرفين** أنني صادق، ولكنك



ترفضين أن تنساقي مع هذه المعرفة؟ ولماذا لماذا قلتِ لي ذلك المساء إنّنا لن نلتقي أبداً ولن نفترق أبداً؟ هل تدركين معنى هذا الجزم؟ هل تدركين مدى تأثيره عليّ لو تيقّنتُ نهائياً أنّه صحيح؟ ألا تعلمين أنني... ألا تعلمين أنّكِ، بهذا الحكم الذي يعني أننا كالخطّين المتوازيين كلّ منّا بجانب الآخر وليس لواحدٍ منّا أن يصبّ في الآخر - أنك بهذا الحكم تصدرين بحقّي حكم الإعدام؟ ألا تعلمين أنني شحنتُ كلّ قواي من أجل هذا **اللقاء**؟ وأن عدم تحقّقه سيقتلني؟ أم أنّك واثقة من أنه لن يتمّ؟ لا يا غادة! لستِ واثقة. كنتِ تتكلمين بمعاني الماضي وأنا لستُ ماضيكِ. إنّني أردّ ماضيكِ على أعقابه. أنا لستُ مثل أحد. لا شيء أفعله مثلما يفعلونه. لا أحد يحبّ مثلي. لا أحد يحبّ بقوّة ما أحبّ، بجمال ما أُحبّ، بروعة حبّي وعظمته ونقائه. لم يعد غيري من يحبّ في العالم. كلّ ما في هذا العصر من رجالٍ، آلاتٌ وجلودٌ وأشباه بهائم. وقد يعرفون كلّ شيء، إلاّ الحبّ. وقد يفهمون كل شيء، إلاّ المرأة. وقد يميتهم ويحييهم أيّ شيء، إلاّ الحبّ وامرأة. لستّ مثل أحد. أنّني آتٍ من حيث لا وقت إلاّ للحبّ، وها أنا أعيش عصري باحتقاره وضربه على نافوخه، فهو عصرُ المعلبّات والخدع الرهيبة، إنّه عصرُ زوال الحبّ. أعيشه؟ بل أعلّقه على الحائط. إنه نملةٌ شاسعة أدوسها كل لحظة لأقطع منها جزءاً. إنّني أجملُ وأفضلُ وأعلى من عصري. إنّ عصري هو عاري. إنّه عاهتي ولحمي الميت، وأنا أخجل به وأكرهه وأُفلّت عليه أفكاري

القاتلة. وأكثر ما يقتل هذا العصر السافل أنني أَعرف كيف أُحبّ، وأنّني أُحبّ، وأنني لا أكفّ عن الحبّ، وأنني لن أكفّ عن الحبّ. إنني أعظم مجرم معاصر. صدّقيني. ولا أعرف كيف سيكون أو هل سيكون اَلعصر المقبل؟ غير أنني لا أرى سبباً واحداً للتفاؤل. والواقع أن ذلك لا يهمّني. إنني أحبّ لا نكايةً بالعصر وإنّما لأنني عاجزٌ عن العكس. إنّني أتحمّل حبّي.




مكتبة
الفكر الجديد

مَن التكرار؟ إنما العبرة في الليل. لكن الحقيقة أنني لم أطع

طول ظلام الليل نمو شر لكنت أقول: من الليل! إنما العبرة في التكرار...

والحقيقة؟ وإذا كان من حقيقة أخرى (والحقائق تُخترع لتغذية الحديث)

فهي أن لا ليل هناك ولا نهار، وإنما وقت للكتابة ووقت للسهر

والساهرون هم الذين نظموا هذه المقاطعة وجعلوا التعاقب مريبًا

بالنسبة لي. مثلاً، اختلط وقت الكتابة بوقت السهر فصرت

أكتب وأسهر في وقت واحد وتفرّع هذا الوقت نفسه إلى أجزاء

كل جزء منها يتنازعه السهر والكتابة إلخ... وليس صحيحًا أنني أخاف

الليل أكثر من النهار، وإنما أنا أخاف أن أكون وحدي، معزولاً

عما يخصني، عما أحبه وأحنّ به وأصدقه، مقطوعًا عن العالم

الذي أشهد أنه يحدث دائمًا مخلوطًا في تجاربي. فلم أتشبث

أن أتابع العالم وأخطط وهو يحدث. هذا الذي يدعي

الانفصال لي، ويدعي الغربة من أهلي، ويدعي العزلة والوحشة

والوفاء!

أحدثكم بكل يا نجاركم. الساعة الثانية شتاءً ما بعد



نصفًا بالليل. لعلك نائمة.

ترى ماذا يشغل فكرك الآن؟ أقصد فكرك المختبئ وراء الوجه الآخر للقمر؟ كم أحب أن أعرف ماذا دار وماذا يدور في رأسك! كم تخطئين في وصف هذه الرغبة بالفضول! إنها ليست أكثر من شهوة جارفة عظيمة إلى أن تقتنيك من غربتك وتضمك إلى قلبي وأفكاري وحياتي. أريد، يا [illegible] أكثر الأشياء، أن أرتبط بك.

هل أمضيت نهارًا حلوًا أمس؟ وسهرة السبت؟ والعرس، كيف العرس؟ والكتاب؟ ماذا كتبت هذه الأيام؟ لم تقرئيني شيئًا بعد. فأنك تعتبرين ذلك مستهلكًا سلفًا، أو سرًا بينك وبين نفسك وحدك، أو فضيحة للكلمات.

الكلمات! هذه هي المشكلة. أريد أن أمزق الكلمات معك. لماذا يخيل إلي أنك تخافين مني؟ أقصد تخافين مني خوفًا يحمل الثقة لا خوف الجبن. لماذا؟ هل تعتقدين حقًا هذا أنني شرير ومغامر وممثل أو طالب متعة عابرة؟



هل ضايقك هذا الكلام؟ يجب أن لا تتضايقي. لا أعرف

شخصاً سواك أتحدث إليه. حدثت كل شيء. أعرفك وتعرفينني

منذ البداية. أنت أختي وحبيبتي. بلى بلى. عرفت من شفتيك

هذه الابتسامة الحزينة وتعرفت فيك إيمانك بك. ولا

أريد أن أعترف بشيء آخر عدا أنك هنا، وأنني هنا، وأننا كنا

معاً، وأنك ستكبرين وتأكلين من قلبك وقلبي، وأن جبهتك

أطهر من خلايا كياني، وتنتشر كلمات العشق في أحلامي

ولابد جسدك وجسدي وطنا نهرا واحدا. ولن أدعك ترحلين.

ولن أدعك تتركينني أتراجع. لن أدعك تعترفين الكبرياء...

... ثم، لماذا تميل إليّ أنثى، مع كل ما أقوله لك، أصرخ

بك ماذا؟ وأن حداء عنك جدار طربوشك؟ وأنك لا تقدرين

أحببتك بالنسيان؟

هل صحيح هذا؟ يا الله! ماذا أقول!...

* * *

صدري امتلأ الدخان. أشعر بحاجة لا تعرف، لا يحتمل

القتل والبكاء. أشعر بجوعي إلى صدرك. بنهم إلى وجهك



ويديك، وفمك، وضحكك، وتعبك، إلى عينيك، بتمام
إليك. أشعر بجوع وحشي إلى أخذك. إلى احتضانك
وانتظارك وإعطائك كل ما فيّ من حاجة إلى أخذ الوحشة
الرهيبة وإعطائك. كياني كله تحفز إليك. إنك تحتلين ثنايا
أفكاري وتلهمينني. هل أكمل يا غادة؟ هل أكمل حماقة وصف
ما بي؟ أم أنك لا تبالين؟ أم أنك ستقولين لي إنك معتادة
على هذا الهذيان؟ وأنه جنون موقت؟ وإن الصحو الذي يعقبه
نهائي؟ أم أنك ستطلبين تسليتي بالهدوء والحكمة والصبر
والانتظار والدرس؟ ألا يكفيك؟ ألا تريدين؟ ألا تريدين؟ هل
صمتت عيناك الرائعتان لكثرة ما أتعبتا فقط لمن ينظر إليهما؟

* * *

لا شيء يبرر عذاب الثورة إلا صدقه، إذا سلمنا أن
الصدق لا بد أن يكون دائماً شهيداً.

أنت تعتقدين أن التجارب التي مرت بك تضطرك إلى
التزام موقف الحذر الشديد والحيطة والتنبه والشك والرفض
والسخرية التي التزمتِها معي هذه المرة. أنا أفهم تفكيرك جيداً.



ولماذا ، لماذا تميل إليّ . أنك **تعرفين** أنني صادق ، ولماذا

ترفضين أن تتساقي مع هذه المعزة ؟ ولماذا لماذا طلبت لي

ذلك المساء إننا لن نلتقي أبداً ولن نفترق أبداً ؟ هل تدركين

معنى هذا الكلام ؟ هل تدركين مدى تأثيره عليّ لو تيقنتُ تماماً

أنه صحيح ؟ ألا تعلمين أنني .. ألا تعلمين أنكِ بهذا الكلام

الذي يعني أننا كالخطين المتوازيين كل منا بجانب الآخر وليس

لواحدٍ منا أن يلتقي بالآخر . إنك بهذا الكلام تُلحدين بحق حلم

الأيام ؟ ألا تعلمين أنني ستستنزفين كل فؤادي من أجل هذا **اللقاء** ؟

وأن عدم تحققه سيقتلني ؟ أم أنك واثقة من أنه لن يتم ؟

لا يا نادرة ! لستِ واثقة . كنتِ تتكلمين بمنطق الماضي

وأنا لستُ ماضيكِ . إنني أرد ماضيكِ على أعقابه . أنا

لستُ مثل أحد . لا شيء أفعله مثلما يفعلونه . لا أحد يحب

مثلي ، لا أحد يحب بقوة ما أحب ، بجمال ما أحب ، بروعة

حبي وعظمته ونقائه . لم يعد غيري من يحب في العالم .

كل ما في هذا العصر من رجال آلات وجلود وأشباه بهائم .



وقد يعرفون كل شيء.. إلا الحب. وقد يفهمون كل شيء.. إلا
المرأة. وقد يعيشون ويموتون أي شيء.. إلا الحب والمرأة. لست
قبل أحد. إنني آسف من حيث لا وقت إلا للحب، ومن أنا
أ بيتهون عصري باحتقاره وضربه على نافوخه، فهو عصر المعلبات
والكذب الرخيص، إنه عصر زوال الحب. أبيت؟ بل
أعلقه على الحائط. إنه نكتة سمجة أدوسها كل لحظة
لأنه ليس فيه شيء. إنني أجمل وأنقى وأعلى من عصري،
إنه عصري ضد عصري. إنه عاجز عن حب الحب، وأنا أحمل
به وأكرهه وأعلن عليه أفكاري القاتلة. وأكثر ما يقلق هذا
العصر السافل أنني أعرف كيف أحب، وأنني أحب. وأنني
لا أكف عن الحب، وأنني لن أكف عن الحب. إنني أعلم
مصير معاصر. صدقيني، ولا أعرف كيف سيكون أو هل سيكون
العصر المقبل؟ غير أنني لا أرى سبباً واحداً للتفاؤل. والواقع
أن ذلك لا يهمني. إنني أحب لا نكاية بالعصر وإنما لأنني
عاجز عن العكس. إنني أحمل حبي.



ليل الثلاثاء ـ الأربعاء

أعرف الآن، بشبه تأكيد، أن خللاً سيطرأ على الموعد.

لا أعرف، بالضبط، كيف ولا، بالضبط، لماذا.

أعرف، فقط.

والاعتذار عن المجيء محتمل أيضاً، لكنني أستبعده دون صعوبة. أعتقد أن الخلل سيكون أشد إيلاماً.

كيف الحال؟ اليوم، على كلّ حال، يتبين إذا كان معي حقّ أو إذا كُنتُ مخطئاً.

لم يخطئ حدسي مرة واحدة في **حالاتي السوداء**. إنما يخطئ، قليلاً، في الظروف العاديّة.

* * *

اكتشفتُ أمس أن رقم هاتفك في دمشق مسجّل من زمان في مفّكرتي.

* * *

ماذا تفعلين يا عزيزتي؟

ماذا تفعلين؟ ماذا تفعلين؟

أقصد بكل معنى الكلمة وكل أبعادها: **ماذا تفعلين؟**

هل تدرين؟



لا أظنّ. أظنّ أنك تظنين أنني ـ عفواً أنّك تفعلين خلافاً كما تفعله سائر النساء وأنّك محقّة وأنك حرّة.

لستِ حرّة ولستِ مُحقّة.

وأنتِ الآن، بقليل أو كثير، تتصرفين، شئتِ أم أبيتِ، قصدتِ ذلك أو لم تقصدي، مثل جميع النساء.

لستِ حرّة ولستِ مُحقّة.

ربّما أنتِ مجرمة.

لكن هذا أيضاً لا يميّزك عن أحد وإنما بالعكس. هم كلّهم مجرمون.

* * *

هل يصدق حدسي؟

أتمنّى أن يكذب.

وعلى كلّ حال، بسيطة. أظنّ أنّني سأبقى وحدي.

وإنّني أكره ذلك.



ليل الثلاثاء - الأربعاء

أعرف الآن، بشديد تأكيد، أن خللاً سيلحق بك الصدمة

لا أعرف، بالضبط، كيف ولا، بالضبط، لماذا.

أعرف: فقط.

والاعتذار عن الحب محتمل أيضاً، لكنني أستبعده دون رجوع. أعتقد أن الخلل سيكون أشد إيلاماً.

كيف الحال؟ اليوم، على كل حال، سيبيت إذا كان في حقي أم إذا كنت مخطئاً.

لم يخطئ حدسي مرة واحدة في حالاتي السوداء

إنه يخطئ، فقط، في الظروف العادية.

* * *

اكتشفت أمس أن رقم هاتفك في دمشق مسجل منذ زمان في مفكرتي.

* * *

ماذا تفعلين يا حبيبتي؟

ماذا تفعلين؟ ماذا تفعلين؟

أقصد بكل معنى الكلمة وكل أبعادها: ماذا تفعلين؟



هل تدرين ؟

لا أظنك . أظن أنك تحسبين أنني - مثلاً

أنك تعانقين أحلاماً كما تفعل سائر النساء، وأنك

عنيدة وأنك حرة .

لست حرة ولست عنيدة .

أنتِ الآن ، بقليل أو كثير ، تطلبين الشيء

لأسباب ، صادقت ذلك أو لم تعلمي ، مثل

بعض النساء .

لست حرة ولست عنيدة

ربما أنتِ مجروحة .

لكن هذا أيضاً لا يميزك عن أحد وإنما

بالعكس . هم كلهم مجروحون .

* * *

هل تصدق حدسي ؟

أتمنى أن يكذب .

وعلى كل حال ببساطة . أظن أنني

سأبقى وحدي .

وإنني أكره ذلك .



أنتظر.

لم أتزوّج بعد. "أنتظر"، فعلٌ يَذْكُرني دائماً، ويذكّرني بإحدى أجمل وأصدق قصائدي التي كتبتها قبل تسع سنين. يومذاك أيضاً كنتُ أنتظر، وكنتُ لم أتزوّج بعد.

لم أتزوّج بعد.

أُحاول أن أتّحد بأغنية، أن أتّحد بصوت، بعينين، أن أنسكب من حنيني على شيءٍ حسّي يستولي عليّ بسعادةٍ وملء فأشغله عن كل ما عداي ويشغلني عن كل ما عداه. أحاول أن أتزوّج. أحاول أن أفنى في. أن أدخل في. أن أصير الواحد والكلّ. لم أتزوّج بعد.

كلكم ضدّي: قرّاء وأدباء. أجانب وأقارب وغرباء. أصدقاء ونساء. لا أحد معي. أكثر امرأة أحببتُها (لا أعرف إلاّ عندما أذكرها أنني **لا أستطيع** أن أبكي!) أكثر امرأة أحببتها كانت أكثر امرأةٍ خسرتُها. هذه في معادَلتي. حسابي ناجحٌ في الفشل. عقلي راجحٌ في الجنون والخراب والموت. لكن لا أعرف في العالم أعظم من شجاعتي.

إن ما أراه ـ ماذا أقول؟ إن ما أشمّه وأعيشه وأرافقه، بل إنّ ما أتنفّسه وأحبل به وأجاريه وأرفضه وأواجهه وألعنه **ويقهرني** من قذارات هذه الحياة ودناءة النفس البشريّة وخبثها وحقارتها



وبرصائيّتها ونفاقها وتمثيلها وأفعوانيّتها وبلاهتها وبشاعتها وانخداعها وخداعها وَقَرفها الرهيب وحبال خسّتها اللامتناهية التركيب والتعقيد والطول والشسوع، إن ما أُعانيه كلّ لحظة، كلّ جزء من اللحظة معاناةً لا توصَف من هذا الواقع الذي لم أبلغ يوماً في تصوّراتي إياه ما بلغته في معاركتي له خلال سنة، إن ما أعانيه يا أنتِ، أيّتها القابعة كالمارد في علبة الأقزام، يكفي لشلّ أقدر يدٍ وتحطيم أعظم صخرةٍ وخَنْق أغلظ رئتين على الإطلاق. ولا أعرف غير الأعجوبة تفسيراً لبقائي حيّاً. أو لعلّني أعيش فترة وقف التنفيذ. المرحليّة المؤقتة.

أَنتظر.

لا المطر ولا الصباح ولا الأصوات. لا الدفء ولا الدخان. أَنتظرُ فقط.

أنتظركِ.

لو عَرَفْتِني قبل الآن لاستغربتِ أن أكون ما زلتُ أرجو خيراً من الانتظار، ولقلتِ: ما بال النازع آماله يتراجع؟ لكنّك لم تعرفيني قبل الآن. ولعل هذا لحسن الحظ ولسوئه معاً. لحسن الحظ؟ نعم. لأن هذا "الجهل" كان هو المسافة التي حفظتكِ، بالنسبة لي، أملاً ينبجس في أحلك الليالي، وبابَ خلاصٍ محتمل حين لم يعد من بابٍ لأيّ خلاص. لسوء الحظّ؟ نعم. لأنك لو عرفتني قبل الآن لعرفتِ، وحدك، ومن زمان، أنّني أجيء الآن إليكِ لأنني بحاجةٍ إليكِ لا لأنني بحاجةٍ إلى سحابةٍ أنسجُها على حسابك، ولعرفتِ أنّني أجيء إليكِ ناضجاً، يانعاً،

من فرط نضجي بالآلام والتعاسة أكاد أكون ناضجاً، أيضاً، للموت.

أَنتظر.

أَنتظر أن ينفرج فمُك، أيّتها المحجوبة، عمّا أعرفُ أنه يحرق أحشاءك حيث يختبئ كالحب وكالكراهية معاً. كلا شيء ثقيلٍ باهظٍ ككلّ شيء. أنتظر أن تجيئي إليّ وقد سَقَطَتْ أوراق الخريف عن باب شفتيكِ، ناضجةً كالنار، يانعةً أنتِ أيضاً بتفاهة هذا العالم وحقارته ونبل أوهامه المبدَّدة.

أنتظر أن تجيئيني أنتِ أيضاً، وتقولي لي: أنا أيضاً لم أتزوّج بعد. . . وأن تفني فيّ.

أنتظر أن تخرجي من بين أعدائي، أن تغادري منطقة الحياد، أن تتركي **أرض الحذَر والماضي** وتصبّي فيّ كنهرٍ أصبح يرفض، بكراهيةٍ وحبّ، أن يظلّ محقوناً. أصبح يريد، بكل ما فيه من كراهيةٍ وحبّ، **أن لا يستسلم لخَطَر الجفاف والركود والعقم**.

نعم أنتظر. ويبدو لي أنني طويلاً انتظرتُ وأنني لم أعد أقوى على الانتظار.

وبعد الانتظار ينتظرني شيءٌ واحد هو الشيء الوحيد الذي يعقب الأمل الأخير. وحين أقول ذلك أقوله بكل هدوء، بمنتهى الاحتقار له، بكل بساطة وخنوع. ينتظرني، إذا لم تمدي لي خشبةَ الإنقاذ، الهاوية.

الهاوية؟ كل ما أتمنّاه أن تتخذ شكل الموت. لكنني أخشى



كثيراً ـ وتأكّدي أن ذلك يرعبني ـ أخشى أن تتّخذ الهاوية شكل الجنون لا الموت. إن هذا أسوأ ما يمكن أن يحلّ بي. آه! كم أفضّل الموت! كم أشتهيه وأستسهله! كم أتمّنى لو تكون لي الشجاعة الكافية لأنتحر! لكنني اختبرتُ هذه الشجاعة مراراً كثيرة حتّى الآن ولم أنجح. ترى، أأنجح تحت تأثير الهرب من الجنون؟ أم يكون الجنون، بالذات، هو الوسيلة الفضلى للهرب من كلّ شيء؟

* * *

أيّتها **الغادة** أنتِ أنتِ أنتِ أنتِ.

هذه هي المسألة. أنتِ **الغاية**. لكنّك تظنين أنكِ الوسيلة. هذه هي المحرقة!...

* * *

كالبهيمة. إنني أعجزُ وأنظُر وأنزف الدم. إنني أشهَد أشهَد. إنني **يا غادة أفعَل** هذه اللغة التي أكتبها إليكِ. لستُ كاتباً الآن. لقد ماتت الكلمة في حلقي. كل شيء غَرِق وانطفأ. أرجوك **يا غادة**، أرجوكِ، أستحلفك بأحبّ شيء عندك، أستحلفك بأنبل ما فيك أن تصدّقيني. أرجوكِ.

وأرجوكِ **يا غادة**.

أرجوكِ أن تفتحي لي قلبك. أن تأتي إليّ.

أن تأخذيني أخيراً إليكِ.

لم أتزوّج بعد. لم تتزوجي بعد.

أرجوكِ **يا غادة** أن تأتي إليّ!!!



أنتظر.

لم أتزوج بعد. لا أنتظر، فهل يذكرني دائماً،
ويذكرني بإحدى أجمل وأحدث قصائدي التي كتبتها قبل تسع سنين.
بعنوان أيضاً كنتُ أنتظر، وكنتُ لم أتزوج بعد.

لم أتزوج بعد

أحاول أن أجد أغنية، أو أجد بحثاً، يعينني
أن أتمسك من جنوني على شيء، حتى يستولي عليّ
بساعاته وظله فأنشغل عن كل ما عداي ويشغلني عن كل
ما عداه. أحاول أن أتزوج. أحاول أن أفنى فيّ، أن
أدخل فيّ. أن أصير الواحد والكل. لم أتزوج بعد.
كلكم ضدي: فقراء وأثرياء. أجانب وأقارب
وغرباء. أصدقاء وغرباء. لا أحد معي. أكثر امرأة
أحببتها (لا أعرف الآن عندما أذكرها أنني لا
أستطيع أن أبكي) أكثر امرأة أحببتها أنت



أكثر امرأة شهرة. هذه هي مأساتي. حساب ناجح

في الفشل. مثلي رابحة في الجنون والحزن والموت.

لكن لا أعرف في العالم أعظم من شجاعتي.

إني ما أراه - ماذا أقول! إني ما أشمه وأعيشه

وألمسه، بل إني ما أتنفسه وأحس به داخلي وأمزجه

وأواجهه وألعنه ويصيرني من قذارات هذه الحياة ورذائل

النفس البشرية وخبثها وحقارتها وبدائيتها ونقائصها

وتخلفها وأفعوانيتها وبلاهتها وبشاعتها وانتهازيتها وخداعها

وأمراضها الرهيبة ومتاهاتها اللانهائية التركيب والتعقيد

والطول والشسوع. إني ما أعانيه كل لحظة، كل جزء من اللحظة

معاناة لا نهائية من هذا الواقع الذي لم أبلغ يوماً فيه

مصالحتي. إني ما بلغته في معاناتي له خلال سنة، إني ما

أعانيه يا أنت، أيتها القابعة كالمارد في علبة الأقزام، يكفي

لتشل أقدر يد، وتحطيم أعظم حركة، وتخنق أنشط تجسيد

على الإطلاق. ولا أعرف غير المعجزة تفسيراً لبقائي حية. أو



لعلني أعيش فترة وقف التنفيذ المرحلية المؤقتة.

أنتظر......

لا المطر ولا الثلج ولا الأصوات. لا الدفء ولا الوقت. أنتظر فقط.

أنتظرك.

لو عرفتني قبل الآن لاستغربت أن الكون ما زلت
أرعى فيه من الانتظار، ولقلت: ما بال الذي آماله تتراجع؟
لكنك لم تعرفيني قبل الآن. ولعل هذا لحسن الحظ ولسوئه
معًا. لحسن الحظ؟ نعم، لأن هذا الجهل، هو هو المسافة
التي حفظتك، النسيان، أمان ينبت في أعماق الليالي
وبات خلاصي مشتملًا حيث لم يعد من أي بد خلاصي، لسوء
الحظ؟ نعم، لأنك لو عرفتني قبل الآن لعرفت، وحدك،
ومن دون علامة، أنني أحب الآن إليك لأنني بحاجة إليك،
لا لأنني بحاجة إلى سحابة أنسكب على شبابك، ولعرفت
أنني أحب إليك ناضجًا، إيمانًا، من فرط نسيان الأيام



والنعاس.. أكاد أكون ناعجاً، إبقاءً للحدث..

أنتظر...

أنتظر أن ينفرج فمك، أيتها المحبوبة، كما أعرف أنه سوف أغشاك حيث يتشبث الحب والكراهية معاً.. كلا ستتمنى تميل بإحدى لكل شيء. أنتظر أن تجيئي إليّ وقد شقّت أوراق الخريف من باب شفتيك، ناضجة كالنار، يانعة أنت أيضاً تتذوقه هذا العالم وحقائقه ونبل أوهامه المبكرة.

أنتظر أن تجيئيني أنتِ أيضاً، وتقولي لي: أنا أيضاً لم أتزوج بعد.. وأن تغني معي.

أنتظر أن تخرجي من بيت أهلك، أن تغادري منطقة الحياد، أن تتركي أرض الكذب والماضي، وتأتي معي قلبي أصبح يرفض - بكراهية وحب، أن يظل مخنوقاً. أصبح يريد، بكل ما فيه من كراهية وحب، أن لا يستسلم لخطر الحياد والركود والعفن.

نعم أنتظر. ويبدو لي أنني طويلاً انتظرت.



لأنني لم أعد أقوى على الانتظار،

وبعد الانتظار ينتظرني شيءٌ واحد هو الشيء الوحيد الذي
يعقب الأمل الأخير. وحين أصل ذلك أصله بكل هدوء، بسبب
الانتظار له، بكل بساطة وخضوع، ينتظرني، إذا لم تمدي لي
شبكة الإنقاذ، الكآبة،

الكآبة: كل ما أخشاه أن تتخذ شكل الموت، لكنني أخشى
كثيراً - وذلك أكثر ما يرعبني - أخشى أن تتخذ الكآبة شكل الجنون لا الموت.
إن هذا أسوأ ما يمكن أن يحل بي، آه! كم أفضل الموت! كم أشتهيه
وأستسهله! كم أتمنى لو تكون لي الشجاعة الكافية لأنتحر! لكنني
أخبرت هذه الشجاعة مراراً كثيرة من الآن ولم أنجح. ترى؟! أنجح
حتى أتيح الهرب من الجنون؟ أم يكون الجنون، بالذات، هو الوسيلة
الفضلى للهرب من كل شيء؟

xxx

أيتها الحلوة أنتِ، أنتِ، أنتِ، أنتِ، أنتِ،
هذه هي المسألة. أنتِ الحياة. لكنك تأتين أنتِ
الوسيلة. هذه هي المعجزة!..

xxx



بالبهجة. إنني أعجز وأنظر وأنزف الدمع. إنني أستشهد
وأستشهد. ابنتي يا نادرة أفضّل هذه اللفظة التي أكتبها إليك.
ليست كأشياء الشعر. لقد ماتت الكلمة في حلقي. كل شيء
تغيّر وانطفأ. أرجوك يا نادرة أرجوك أستحلفك بأحب شيء
عندك أستحلفك بأنبل ما فيك أن تصدقيني. أرجوك

وأرجوك يا نادرة

أرجوك أن تكتبي لي حالك. أن تأتي إليّ

أن تغذيني أخيراً إليك.

لم أتزوج بعد. لم تتزوجي بعد.

أرجوك يا نادرة أن تأتي إليّ !!!



شهادة لاحقة(*)

□ «بمزيد من الجرأة، بمزيد من اللوعة، بمزيد من الصدق، بمزيد من الغوص على الذات، تعود غادة السمّان كاتبة "**لا بحر في بيروت**" إلى قرّاء قصصها القصيرة بمجموعة جديدة عنوانها: "**رحيل المرفئ القديمة**"(**)، وبضع من قصص هذه المجموعة يستوحي هزيمة ١٩٦٧. وكلها، دون ريب، تضع القارئ في مناخ شديد الحرارة ومرّات ملتهب الحمّى.

بعد زواجها، قيل سوف تهجر التأليف. وكالعنقاء قامت من رمادها، وإذا بالزواج تجربة جديدة حوّلتها الكاتبة بموهبتها الأكيدة، إلى مركز إلهام إضافي.

غادة في كل ما تكتبه شاعرة... فهي حقاً شاعرة.

أنسي الحاج (ربيع ١٩٧٣)

(*) هذه الشهادة كتبها أنسي الحاج بعد عشرة أعوام من تاريخ رسائله إلى غادة.

(**) فازت المجموعة المذكورة بـ"جائزة الإبداع" من قبل جمعية أصدقاء الكتاب مناصفةً مع الشاعر يوسف الخال. والجائزة هي أرفع جائزة من رئيس الجمهورية، وكانت تقدمها يومذاك جمعية أصدقاء الكتاب.



فهرس







□ غادة السمّان كانت دائماً الأديبة الشجاعة الأولى في العالم العربي. . إن غادة السمّان هي رائدة الجريئات في حواراتها وإبداعاتها، صامدة ضد كل المغريات.

محمد شكري

□ غادة فتحت بوابات الحرية وزرعت الشجاعة في قلوب الكاتبات العربيات وأُرشحها لجائزة نوبل لأنها افتتحت حقبة جديدة، وفي كل ما كتبت ترافعت عن الأمل والحرية. .

هاديا سعيد

□ نشرُ الرسائل خطوة شجاعة من كاتبة عوّدتنا على المواقف الشجاعة في الكتابة وفي الحياة، وكم أتمنى لو تحذو حذوها أديبات أخريات، وأكاد أجزم ان هذا النوع من الرسائل موجود لكنه مخبأ أو أُتلف.

عبد الرحمن مجيد الربيعي

□ إذا كانت كل كاتبة عربية تملك جرأة غادة السمّان في نشر ما كُتب لهن من رسائل من كتّاب وشعراء وفنانين. . . فإننا سوف نملك شاشة جديدة في أدبنا المعاصر ما زالت خفية وسوداء. غادة تقوم بخطوة رائدة وعظيمة وكسر جليد تختبئ خلفه مئات الرسائل التي ترينا الوجه الآخر لمعظم كتّابنا لو أُفرج عنها من صناديق الخوف.

ياسين رفاعية


ISBN-13: 978-9953-409-83-8
9 789953 409832

دارُ الطّليعَة للطّباعَة وَالنشر
بيروت